

A black and white photograph of a person standing in a dark, rainy forest. The person is facing away from the camera, holding a colorful, striped umbrella. The ground is wet and reflective, and the trees are dark and leafless.

أيمن شوقي

رواية

أهداب الخيانة

## اهداء

الى كل شخص قريب او بعيد  
الى كل صديق للورقة والقلم والاحبار  
الى اشخاص في دول أخرى رغبوا في الصداقة دون  
ان يرونني  
الى كل شخص وقف بجانبي في محناتي وازماتي  
اقم لكم هذا العمل ، دون ان انسى ذلك الجندي  
المجهول الذي يدفعنى الى الامام  
اهداء خاص ملي بالمحبة  
من قلبي الى قلوبكم

أيمن شوقي

# الفصل الأول

في منزلي القديم ، ومع نسمات الفجر الأولى

تعالى صوت خطواتي على درجات تلك البناء العتيقة في أحد أحياء مصر القديمة

حتى توقفت متحسساً ذلك الغبار على الباب لأدس المفتاح وأدبره في بطيء لأتجمد لبرهة من الزمن مراقباً فيها المكان بعينين دامعتين ، ثم اتجهت إلى غرفتي الخاصة ، في ركن المنزل

بعد كل هذه الأعوام والسنين ...

والدهش أن ذاكرتى كانت مزدحمة بالذكريات ، في كل ركن وزاوية من هذا البيت ، بل كل ضحكة وبسمة داخل كل حجرة .

وها أنا ذا ، جئت اليوم أطلب السكينة

بعد مشاجنة كبيرة بيني أنا وزوجتى منال

اردت ان اعود الى ذاتي ولو قليلاً ، بعد طول فراق

توقفت في الردهة عدة دقائق ، اتأمل صورة أبي الراحل

وانذكر آخر كلماته التي ما زالت تدوى في اذني ، وتعود الدموع لتزغلل الروية من جديد

كان دائماً ما يجدنى ولداً فاشلاً

لم تنشأ له القدرة ان يرى ما مدى النجاح الذي قد وصلت اليه بعد ان وافته المنية

حتى مسحت دموعي في سرعة لاعطى ظهرى للوحة ، وجلست على الكرسي الخشبي المزین بالاصداف والارابيسك والاحجار اسفل الصورة ، مطرقاً برأسى مفكراً فيما وصل بي الحال

كم أصبحت تعيساً !!

حققت من النجاحات مالم يتحقق احد

ولكنى كنت في منزلى من اتعس المخلوقات

لم يكن هناك أي توافق بيني وبين زوجتى ، او حتى اطفالى

لم اخرج أبداً من ثوب الرجل الشرقي

الجميع يحترمنى ويهاابنى

لكنني لست سعيدا ... فقد كنت احتل تلك الصورة  
صورة أبي ...

حتى زوجتى كانت تعاشرنى على الفراش لترضيني فقط  
كانت تخرج الاصوات التى احبها  
دون ان اعرف ماذا يدور في خلدها

عصفت بي الافكار كثيرا حتى اطلقت زفراة حارة ، ونهضت لأتوجه الى غرفتي مرة اخرى  
ودون تفكير ... استقيت على ارضية الحجرة متاجهلا التراب المتكدس عليها

ثم رفعت رأسي لانظر الى اغراضي المبعثرة اسفل الفراش ، ليقع بصرى على الصندوق  
ابتسمت في فرحة وانا امد يدي لأخرجه في لهفة غير معروفة

وجلست اتأمل الصور على مختلف المراحل الزمنية

وانذكر بعض المواقف واضحك بمفردك حتى ادركت انى سأمكث كثيرا  
فاخرجت محفظتى و هاتفي المحمول والقى لهم في اهمال على السرير وخلعت حذائى ، واسندت

ظهرى على باب الحجرة وانا نصف مستلقى على الارض

واضعنا الصندوق على ركبى واخرج محتوياته شيئا فشيئا

واستغرقنى الوقت كثيرا حتى اتنى لم اشعر بشىء

حتى بعد ان افرغت كل الصور

ليقع بصرى على تلك العلبة الصغيرة ... المخملية

ابتسمت في حنان وانا اتذكر تلك الهدية والتقطتها في عناية وانا انفث نرات التراب من عليها  
واتحسسها في رقة

لألقي النظرة على الخاتم الذهبي الذى يرقد ساكنا متألما ، كما تركته

دون ان تظهر عليه علامات الزمان الطويل

فقد كانت تلك هديتى الاولى والاخيرة

اسراء

صديقة عمرى ... وحبيتى ... وصديقة المراهقة

ابتسمت بالرغم مني عندما توقف تفكيري عند النقطة الاخيره

وانا اتذكر المرة الاولى التي قابلتها بها... عند باب حجرتى وهي تقدم لي العصير

مازالت اتذكر ابتسامتها واحمرار وجنتيها ، وارتباكتها وهي تركض متعرثة في كل شئ صادفها

حتى اعترتنى رغبة عارمة في رؤيتها ... دون مقدمات

اسرعت اعيد كل شئ في مكانه الى الصندوق في عناء واغلقته في احكام ... ونهضت محاولا  
ازاحة الغبار الذي لصق على ملابسي

وفتحت باب المنزل لأطرق بباب الشقة المقابلة ثلاثة طرقات سريعة كما هي عادتى دائما ...

لاجد فتاة صغيرة ، جميلة ، شقراء الشعر تفتح الباب وهي تحمل قطعة من الشوكولاتة وهي تقول  
لي في براءة :

- من انت ؟

تطلعت اليها وتفحصت ملامحها في دقة وانا اجيبيها ببطء :

- انا استاذ مدحت يا صغيرتى ... هل يوجد احد هنا ؟

تركـت الطـفلـة الـبـاب لـتـهـرـع إـلـى الدـاخـل تـنـادـي وـالـدـتها ، وـالـافـكار تـعـصـف بـرـأـسي فـي سـرـعة

وـظـلـلت عـلـى وـقـقـتـى مـتـجـمـدا وـاـنـا اـمـدـرـقـبـتـى لـلـامـام اـنـتـظـرـ القـادـمـ المـجهـولـ ، وـانـعـقـدـ حـاجـبـاـيـ فـي شـدـةـ  
حـتـىـ كـادـاـ انـ يـمـتـزـجـاـ سـوـيـاـ عـنـدـمـاـ سـمـعـتـ صـوتـ اـقـدـامـ اـنـثـويـةـ خـافـتـةـ ، وـارـتـفـعـتـ دـقـاتـ قـلـبـيـ

حـتـىـ انـفـرـجـ الـبـاب وـظـهـرـ منـ خـلـفـهـ وـجـهـ مـلـانـكـيـ جـمـيلـ ، شـعـرـتـ لـلـبـرـهـةـ الـأـوـلـىـ اـنـنـىـ اـعـرـفـهـ  
وـحدـقـتـ هـيـ الـأـخـرـىـ فـيـ مـلـامـحـىـ عـدـةـ ثـوـانـىـ ، حـتـىـ تـهـلـلـتـ اـسـارـيرـهاـ فـجـأـةـ وـهـيـ تـهـنـفـ فـيـ سـعـادـةـ :

- استاذ مدحت

وـخـطـتـ خـطـوـتـانـ خـارـجـ الشـقـةـ وـهـيـ تـصـافـحـنـىـ فـيـ حـرـارـةـ وـاـنـاـ لـاـ اـعـىـ ماـذـاـ اـقـولـ وـاـنـاـ اـجـهـلـهاـ ...  
فـشـدـتـ الفـتـاةـ عـلـىـ سـاعـدـيـ وـهـيـ تـشـدـنـىـ قـائـلـةـ فـيـ مـرـحـ وـفـرـحةـ :

- تـفـضـلـ يـاـ اـسـتـاذـ مـدـحـتـ ، أـلـاـ تـذـكـرـنـىـ ؟ـ ...ـ اـنـاـ هـنـدـ

شافت في دهشة وانا اتأملها وارتفع حاجباهي المعقودان لأهتف بدورى :

- هند ، معقوله ... لقد اصبحتى امرأة ناضجة ؟

ضحك هند في صوت صافي وهي تضع يدها على فمهما وتجيبني :

- وهل يبقى كل شئ على حاله ، المهم كيف حالك واين كنت طوال هذه السنوات ، أتدرى ... لولا ان اختى اسراء تحفظ باليوم الصور الخاص بها ... لما تعرفت عليك الآن ؟

ابتسمت في رصانة بعد هذا الانفعال وانا احاول ان اتمالك نفسي بعد ان ذكرت هند اسم اسراء وانا اجيبيها بالمقالة الشهيرة في هدوء :

- الدنيا تلاهي يا هند

او ما ت هند برأسها مقتنة وهي تدعونى للجلوس في غرفة ( الضيف ) وهي تنادى على طفلتها بصوت عالى :

- تعالى يا شوق لتلق التحية على استاذ مدحت

جاءت الصغيرة وهي تجر عروسها خلفها على الارض وترفع كفها عاليا مطلقة ضحكاتها الطفولية الجميلة ، فأخذتها بين احضانى لأرفعها عاليا واداعبها ، ثم التفت الى هند وانا اسألها :

- هذه ابنتك بالتأكيد ، بارك الله فيها

ارتفع حاجبا هند في دهشة ، ثم انفجرت ضاحكة وهي تجيب :  
- اتمنى هذا ... ولكنها ابنة اختى اسراء

\*\*\*\*\*

سرت فترة طويلة من الصمت ، حتى انتبهت الى اتنى مازلت احمل الطفلة التي تململت بين يدي فأعدتها على الارض لتكميل اللهو بالألعابها وكان شيئا لم يكن لاتخذ مقعدا وانا اطلع اليها صامتا ... ففتحت هند في حرج وهي تتمم :

- ماذا تحب ان تشرب يا استاذ مدحت ؟

اجبتهما في خفوت :

- اشكرك يا هند ، ولكن لا ارغب في شيء

هزت رأسها نافية في قوة وهي تجيبني :

- وهل هذا معقول ؟! .. بعد كل هذه السنين وتأتي الى منزلنا دون ان تتناول شيئا في منزلنا ... ساعد لك قدحا من القهوة التي تحبها

ودون ان تنتظر الرد ... انصرفت مسرعة باتجاه المطبخ ، ودون ان اسألها عن سبب علمها  
بحبي الى اقداح القهوة مستسلما للشروع في سقف الحجرة

سابحا في بحر الذكريات ، وارتسمت شبح ابتسامة على شفتي وانا اتذكر الاريبة ، واسترجع  
ذكريات الماضي البعيد

عندما كنت شابا في الجامعة في احدى ايام الصيف اجلس على نفس الاريبة بقميصي الابيض  
الناصع ، وانا اقلب في صفحات الكتاب الذى كنت اقوم بشرحه لاسراء بحجة صعوبة المواد التي  
اشتكى منها دائمًا ، وكانت هذه هي النقطة لنجلس بجانب بعضنا البعض ، وتلتصق ... وانا  
اشرح لها الامر في سرعة خاطفة لنتهائس ، وتبادل عبارات الحب .

اتذكر ذلك اليوم جيدا ... عندما كانت تريدى ان اراجع معها المراجعة النهائية لليلة الامتحان  
وفوجئت بها تأتى بكوب من عصير المانجو الذى اعشقه .... وتلتصق بي في شدة ، حتى سرت  
شعريرة في جسدي لاجدها تميل الي حتى كادت شفتاها ان تلمس شفتي وهي تخبرنى :

- لقد انتهيت فعلا من المراجعة ، ولكنني اشتقت اليك كثيرا

تململت في جلستي معترضا ولكنها وضعت يدها على فمي وهي تهمس في صوت رخيم :

- اردت ان اجدك بجواري في تلك الليلة ، الجميع في الخارج لحضور فرح ابنة خالي  
محمد

وما ان وضعت شفتها على عنقي ، حتى انهلت عليها بدورى بالقبلات على شفتيها وعنقها وانا  
اتحسن نهديها في نشوة وحب ... وفي حركة عصبية ... ففتحت ازرار القميص لأشاهد النهدين  
المشدودين من فرط النشوة ... و

- استاذ مدحت

انتقض جسدي وانا اخرج من ذكرياتي لأنتفت الى مصدر الصوت

لاجد هند تقف امامي ممسكة بالصينية ، وتنظر الي في حيرة

تململت في جلستي في حرج بعد انتشلتني عند تلك النقطة وامسكت بقدح القهوة لارشف منه  
رشفة صغيرة واضعها على المائدة الرخاميه التي امامي :

- ماذا عن اخبارك يا هند ... اخبريني

ابتسمت هند وهي تقول :

- لا شيء ، اتنى في العام الاخير من الجامعة ، ادرس في علم الاثار واكمم دراستي في  
مجال الكمبيوتر

نظرت اليها متأملا ملامحها قليلا ثم سألتها :

- وماذا عن حياتك العاطفية

اتسعت عينا هند للحظات وهي غير مستوعبة للسؤال ، وشعرت بالحرج الشديد يعترفيها فاطلقت ضحكة صافية لتلطف الموقف قليلا وانا اغمزها بعيوني قائلا :

- لا تقلقى ، لن اخبر احد بالأمر ....

ابتسمت هند في خبث وهي تقول :

- بالطبع لن تقدر ، بعد قصة الحب الطويلة التي كانت بينكم

ارتفع حاجبى في دهشة ، فلم اكن اتوقع انها كانت تدرى بذلك التاريخ الحافل وذلك الحب الذى كان مضربا للامثال بين مراهقين الحارة .

وشهدت جدران البناء قصة العشق ، التى انتهت برفض اباها المريض ( بمرض عضال فى الكلية ) بانه لا يقدر ان يتركها دون ان يطمئن عليها قبل وفاته خصوصا بعد رحيل والدتها :

- استاذ مدحت ، الى اين ذهبت ؟

قالت هند تلك العبارة وهي تطلق ضحكتها المجلجة في الردهة وهي تغمز بعيونها هي الأخرى قائلة :

- يبدو انك سافرت بعيدا

ابتسمت وانا النقط قدح القهوة ، ليرتجف الفنجان في يدي وانا احاول ان اهدى من اعصابي وفجأة ارتفع صوت جرس الباب بطريقة خاصة

طريقة اسراء

فنهمست هند من مقعدها وهي تبسم في خبث مجددا لتخبرنى :

- لقد وصل الحب القديم

واسرعت تفتح الباب وتركتى خفها وقلبي يخفق في عنف

\*\*\*\*

فتحت هند الباب ولكنني اجزأ على الالتفات لأشاهد اسراء بعد ان سمعت صوتها ، وشعرت بالبرودة في مقعدي وانا احاول السيطرة على جسدي الذي بدأ في الارتعاش الكامل

ولم تخبرها هند باني موجود . ولكنني خمنت ان اسراء شاهدت رأسى البارزة من الكرسي وسمعت صوتها وهي تخبر اختها في عتاب :

- هل يوجد لدينا ضيوف يا هند ولم تخبريني ؟

واستدارت حول المقهى واطلقت شهقة قوية وهي تضع يدها على صدرها وعيناها المتسعتين تأملتها في صمت ، وخفقات قلبي تعلو ، حتى اتنى تخليت انها تستمع اليها فعلا حتى جاءت هند وهي تبتس في خبث ماكر وهي تقول لاختها الكبرى :

- نسيت ان اعرفك ... استاذ مدحت ... هذه اسراء يا استاذ مدحت

ساد الصمت ايضا بعد عبارتها فتحنحت في حرج لأكسر الصمت وانا اسألها :

- كيف حالك يا اسراء

ارتفع حاجبا اسراء في تأثر وهي تمد يدها لمصافحتي فوضعت قدح القهوة في سرعة وانا اقف لامد يدي في سرعة لااصافحها

وتلامست اناملنا ، وسرت قشعريرة لذبحة في جسدي لثوان ، وتركـت هي يدها في يده برفق وطلـ صمتنا ونحن ننظر الى بعضنا البعض

حتى تحنـت هـند بـدورـها من جـديـد وهي تـقولـ فيـ حـرجـ :

- سـأـتـركـكمـ بمـفـرـدـكمـ ،ـ لـدىـ العـدـيدـ مـنـ الـامـورـ لـانـجـزـهاـ قـبـلـ ذـهـابـيـ إـلـىـ الجـامـعـةـ .

واسـرـعـتـ تـخـفـىـ دـاخـلـ اـحـدىـ الـحـجـرـاتـ وـهـيـ تحـمـلـ الطـفـلـةـ ،ـ وـظـلـلـنـاـ كـمـاـ نـحـنـ ،ـ لـمـ نـلـفـتـ إـلـىـ هـندـ وـلـاـ إـلـىـ الصـيـاحـ التـىـ اـطـلـقـتـهـ الصـغـيرـةـ وـهـيـ تـصـبـحـ مـعـتـرـضـةـ عـلـىـ اـخـطـافـهـاـ مـنـ وـسـطـ العـابـهـاـ

جلـستـ اـسـرـاءـ عـلـىـ المـقـعـدـ الـمـجاـوـرـ لـيـ ،ـ وـجـلـسـتـ اـنـأـمـلـهـاـ طـوـيـلاـ حـتـىـ تـخـبـرـ وجـهـهاـ بـحـمـرـةـ الخـجلـ ،ـ فـاـسـرـعـتـ اـتـمـمـ آـسـفـاـ :

- معذرة

هزـتـ رـأـسـهـاـ نـافـيـةـ وـهـيـ تـشـيرـ إـلـىـ لـأـتـنـاـوـلـ باـقـيـ الـكـوبـ قـبـلـ سـأـلـتـنـىـ اـسـرـاءـ فـيـ صـوـتـ نـاعـمـ وـخـافـتـ

- كيف حالك يا مدحت ؟

تنهدت وانا اجيبيها :

- في خير حال ... المهم ماهى اخبارك ؟

لمعَ دمعة صغيرة في عينها وهي تزفر مجبية :

- انا بخير

عاد الصمت يلف المكان من جديد ، حتى هزت اسراء رأسها في قوة وكأنها تنقض افكارها لتسألني :

- مالذى أتى بك الى هنا اليوم

ابتسمت وانا اجيبيها :

- لا ادرى ، كان الامر في البداية عبارة عن مشاجرة بيني وبين من ....

وبترت عبارتى فجأة وكأننى ان الوقت لا يناسب ذكر اسم زوجتى

فابتسمت اسراء وهي تجيبنى في مرارة ملحوظة :

- اعرف انك متزوج يا مدحت ، واعرف انك لم تستطع الانجاب لفترة طويلة من الزمن حتى زرقاء الله بطفلك ساري

رفعت حاجبي الايمان وانا اسألها بسرعة :

- كيف عرفت كل هذا

اطرقت اسراء برأسها قليلا ثم اجابت :

- بعد انتهاء اجراءات الطلاق بيني وبين زوجي السابق ، عدت الى هنا لأمكث مع شقيقى هند ، وكنت دائمًا ما ترسل في طلب بعض اوراقك القديمة من منزلك ، ولم يكن عم حسن البواب يعرف اين هي اغراضك ، فكنت اجمع له ما هو مطلوب منه ، وكان دائمًا ما يبلغنى بأخبارك دون ان اسأل ، وكنت سعيدة بمعرفة ما يدور حولك

ثم صمتت قليلا ، وبدأت اشعر ببرعشة جسدها ، فتردلت قليلا

ثم مددت يدي لأرفع وجهها لأشاهد دمعة ساخنة تسيل على خدتها الايمن ، فأنقبض فؤادي وتمنيت ان اضمها الى صدرى كما كنت افعل فيما مضى ...

ولكنها نهضت فجأة وهي تمصح دمعتها في سرعة لتسألني

- هل ستتناول الغداء معنا ، اتنى سوف أعد اليوم طبقك المفضل

اعترضتها في سرعة :

- كلا يا اسراء ، لن اقد...

قاطعتني في حزم :

- هذا امر ، اذهب لتسريحة في شنفه قليلا وسوف ادق عليك الجرس عندما انتهي من طهي الطعام

وأسرعت الى الطاولة المقابلة لباب الشقة للتقط تلك الاكياس من على الطاولة وهي تصبح في لهجة مرحة :

- امازلت هناك ، هيا اذهب واتركني لعملى الان

وتركتني بمفردي في ردهة المنزل كالمسحور ، ثم التقطت جهاز المحمول الخاص بي وتحركت الى باب شقتي

وما ان اغلقت الباب ، بدأ احساس من نوع آخر يغمرنى

ويكتفى من رأسى وحتى اخصص قدمى

احساس غامر بالفرحه ...

والغرizia ...

\*\*\*\*\*

توقفت لدقائق في الردهة وانا اتأملها في صمت

ثم اسرعت الي غرفتي لاخرج منها احدى ملابسي القديمة وانا اتأملها مبتسمـا ، ثم انقطت جلبـا فضفاضـا ، وخرجـت من الغرفة الى حمامـ المنزل العـتيـق ، ومددـت يـدي لأـشـعل المصـبـاح لأـدخل سـرـيـعا تحت رـذاـد المـاء الفـاتـر وـانا اـدـنـدـنـ بأـحدـى الـاغـانـى التـى اـعـشـقـهـا لـمـطـربـ الـراـحل ( عبد الوهـاب )

شعرـتـ معـ الـوقـتـ كـأـنـىـ اـزـيلـ كـلـ الشـظـاياـ منـ حـيـاتـىـ وـاـنـاـ اـقـفـ تـحـتـ المـاءـ ، حـتـىـ فـرـغـتـ تـمـاماـ وـاـنـاـ اـمـسـكـ بـالـرـوـبـ الـابـيـضـ الـقـطـنـىـ وـاـرـتـدـيـتـهـ وـاـتـأـمـلـ جـسـدـىـ فـيـ الـمـرـأـةـ ضـاحـكاـ

فقدـ بدـاـ قـصـيرـاـ وـصـغـيرـاـ عـلـىـ شـكـلـ مـضـحـكـ وـخـرـجـتـ إـلـىـ غـرـفـتـىـ لـأـرـتـدـىـ مـلـابـسـىـ فـيـ سـرـعـةـ

وانـظـرـ إـلـىـ الـمـرـأـةـ مـتـأـمـلاـ وـجـهـىـ وـشـعـرـىـ الـمـبـلـ

ولـسـبـبـ ماـ ، بدـأـتـ اـتـأـمـلـ الشـعـيرـاتـ الـبـيـضـاءـ التـىـ بـدـتـ مـبـعـثـرـةـ عـلـىـ جـانـبـيـ فـودـيـ طـوـيـلاـ ، ثـمـ بدـأـتـ تـصـفـيـفـ شـعـرـىـ فـيـ عـنـيـةـ

حتى انتهيت فاستدرت الى مكتبتي الضئيلة بركن الحجرة بعد ان فرغت معظم محتوياتها التي قمت بنقلها الى منزلى ملتفقاً احد قصص الخيال العلمي المحببة الى نفسي ، وجلست اقرأها في حماس غريب

حتى دق جرس الباب

فاعتدلت في حدة ، وانا انظر الى القصة والى الباب في حيرة ، ثم القيت بالرواية على الفراش لأنهض متوجهها الى باب الشقة فتعثرت باحدى الكراسي بشكل غريب وسقط على الأرض متعرضاً في ضجيج عالي .

وتوقف جرس الباب للحظة ، وسمعت طرقات اسراء على الباب وهي تصرخ :

- مدحت ، هل انت بخير

اجبتها في صوت عالي وانا احاول النهوض من سقطتني :

- اجل انا بخير ، لقد تعثرت في الكرسي اللعين

وترنحت من فرط الالم وانا اذهب الى الباب لأفتحه وشاهد وجه اسراء يظهر من خلف الباب وهي تهتف في قلق :

- هل انت بخير

اشرت الى الكرسي في غيظ وانا اتمتن بكلمات لم افهمها :

فابتسمت في حنان وهي تضع يدي على كتفها وهي تساعدنى للوصول نحو اقرب كرسي صادفها لتجلسنى في رفق وانا اتأملها ، وجلست الى جوارى ، وشعرت بعطرها يلحفنى في حرارة وهي تقول في خفوت :

- هل تريد الذهاب الى الطبيب ؟

ضحكـت وانا اشير لها ان الامر لا يستدعي حضور الطبيب ، فتأملتني قليلاً ثم مدت يدها تتحسس خذى وهي تهمـس :

- هل احضر الطعام الى هنا ؟

سرت قشريرة صغيرة في جسدى من لمستها وان انظر اليها طويلاً متأملاً عينيها في حب واضح ثم اجبتها في صوت غير مسموع :

- المكان هنا غير مناسب

اومأت برأسها ونهضت وهي تمد يدها الي ، ولكنى اعترضت في حرج وقد أبى رجولتى ان استند عليها للذهاب الى شقتها ، ونهضت وانا اخفى الالم وشاهدها تتأملنى في دقة ثم اجابت في بساطة وهي تسبقنى الى الباب :

- هيا بنا اذن قبل ان يبرد الطعام .

دخلت الى شقتها في سرعة واغلقـت انا بـاب شقـتي ، ودخلـت الى الشـقة وانا اغلـقـت الـباب في توـر لـاجـلس عـلى مـائـدة الطـعام في نـهاـية الرـدـهـة لـأـتـمـلـ جـمـيع الـاـصـنـاف وـاـنـا اـسـائـلـ كـيـفـ اـسـطـاعـتـ انـ تـحـضـرـهاـ فيـ هـذـاـ الـوقـتـ القـصـيرـ ، حتىـ سـمعـتـ صـوـتـ اـقـادـمـهاـ وـهـيـ تـضـعـ طـبـقـ الحـسـاءـ المـفـضـلـ لـدـيـ وـتـجـلـسـ الىـ جـوارـىـ

فـتـمـلـمـلـتـ فـيـ مـقـعـدـيـ وـاـنـاـ اـسـائـلـ :

- آلنـ تـشـارـكـناـ هـنـدـ الطـعامـ

هـزـتـ رـأـسـهاـ نـافـيـةـ وـهـيـ تـجـبـ :

- لـقـدـ غـادـرـتـ مـسـرـعـةـ لـلـحـاقـ باـصـدـقـانـهاـ ، لـتـسـلـيمـ اـحـدـ اـبـاحـاثـهاـ الـيـومـ

تسـائـلـتـ مـجـدـداـ :

- وـابـنـتـكـ ؟

نـظـرـتـ اـسـراءـ لـلـحـظـاتـ ثـمـ اـطـلـقـتـ ضـحـكـةـ طـوـيـلـةـ :

- انـهـاـ نـائـمـةـ ياـ مدـحـتـ

ابـتـسـمـتـ فـيـ حـرـجـ وـكـأـنـيـ طـالـبـ بـلـيدـ وـبـدـأـتـ فـيـ تـنـاـولـ الطـعـامـ ، وـكـانـتـ اـسـراءـ تـصـرـ اـثـنـاءـ تـنـاـولـيـ الطـعـامـ اـنـ تـطـعـمـنـيـ بـيـدـهـاـ بـيـنـ الفـيـنـةـ وـالـفـيـنـةـ ، وـهـيـ تـحـلـفـ اـنـ يـجـبـ اـنـ (ـلاـ اـكـسـفـ يـدـهـاـ) ، دونـ انـ اـمـنـعـ عـيـنـيـ اـنـ يـقـعـانـ بـيـنـ فـتـرـةـ وـأـخـرـىـ عـلـىـ صـدـرـهـاـ الـبـارـزـ اـمـامـيـ

حتـىـ اـنـتـهـيـتـ وـلـكـنـهاـ اـصـرـتـ اـنـ تـطـعـمـنـيـ بـيـدـهـاـ قـطـعـةـ منـ الدـجاجـ المـحـمـرـ ، فـالـتـقطـهـاـ بـفـمـيـ وـاـنـاـ انهـضـ بـسـرـعـةـ لـأـدـخـلـ اـلـىـ الـحـمـامـ وـاـغـسـلـ يـدـيـ ، وـذـهـنـيـ يـعـمـلـ فـيـ سـرـعـةـ لـأـقـرـرـ مـاـذـاـ سـأـفـعـلـ بـعـدـ قـلـيلـ ، وـقـدـ بـدـأـتـ اـشـعـرـ بـضـرـورـةـ مـغـادـرـتـىـ لـهـذـاـ الـمـنـزـلـ وـاـغـلـقـتـ الصـنـبـورـ فـيـ عـصـبـيـةـ وـاـنـاـ اـبـحـثـ عـنـ شـىـ لـأـنـشـفـ يـدـايـ الـمـبـلـولـتـينـ

فـخـرـجـتـ بـخـطـوـاتـ سـرـيـعـةـ وـاـنـاـ اـهـمـ بـمـنـادـاهـ اـسـراءـ ، وـإـذـاـ بـيـ أـجـدـهـاـ تـقـفـ اـمـامـيـ مـبـاشـرـةـ وـهـيـ تـحملـ مـنـشـفـةـ بـيـضـاءـ ، مـزـينةـ بـوـرـدـةـ حـمـراءـ وـهـيـ تـبـتـسـمـ قـائـلـةـ

- هـاـ أـنـاـ ذـاـ

تأـمـلـتـ الـمـنـشـفـةـ فـيـ صـمـتـ وـاـنـاـ اـقـرـبـ مـنـهـاـ لـأـتـنـاـولـهـاـ وـاـمـسـحـ يـدـيـ فـيـ بـطـءـ ، فـقـدـ كـانـتـ تـلـكـ الـمـنـشـفـةـ مـنـ صـنـعـ يـدـهـاـ ، مـنـذـ اـنـ كـنـاـ سـوـيـاـ ...ـ مـنـذـ زـمـنـ بـعـيدـ

ثم زفرت في قوة وانا ألقى المنشفة على الكرسي المجاور لي وانا التفت الى اسراء وارفع ذراعي تجاهها قائلًا :

- أشنت لك يا اسراء ، اشنت لك كثيرا

وبدون مقدمات النقطها بين ذراعي ، واحسست بدقنها وانا اتحسن شعرها الناعم فانحنىت كالمسحور على شفتيها الرطبتين لأطبع قبلة طويلة ، حملت كل ما اخفيه من حب واشتياق ولوعة ، واحسست باشيقها هي الاخرى في احضانى وهي تضمنى اليها في قوة وفجأة علت صوت شهقة مفزعة انقضت لها جسدي ، وابتعدت امراء عنى في عنف وانا التفت الى مصدر الصوت

لاجد شقيقتها الصغرى هند تقف عند باب المنزل متسمة العينين وهي تضع يدها على فمهما غير مصدقة

ليشتعل الموقف .

وبشدة .

\*\*\*\*\*

تجمد الموقف لعدة دقائق وهند تنقل بصرها بيني وبين اختها الكبرى اسراء ، ثم تركتا واندفعت مسرعة الى غرفتها وتساقطت بضعة الوراق من حقيقتها والتفت نظراتنا انا واسراء في صمت ، ثم همست في حزن منكسر :

- اعتذر يا اسر ...

قاطعتى في هدوء وهي تضع اناملها على شفتي قائلة :

- لا تعذر ، نحن لم نقم بشيء يستحق الاعتذار

انعقد حاجبائى وانا اتأملها في تأن ، ثم تحركت في خطوات مرتبكة الى المائدة لأنقطع سلسلة مفاتيحى الخاصة مع هاتفى المحمول وانا اتجه الى باب المنزل فهتفت بي قائلة :

- هل ستغادرنا الى منزلك الليلة ؟

وقفت في مکانی قليلا ثم التفت اليها لأشاهد قسمات الحزن التي بدأت ترتسم على وجهها الجميل فاجبته بسرعة :

- كلا ، لقد تركت المنزل أثر شجار نشب بيني وبين زوجتي

ابتسمت اسراء ... وابتسمت لابتسامتها ...

وغادرت المكان في سرعة ، ودخلت الى شقتي

وخلعت القميص والقينه في اهمال على الكرسي المقلوب أثر تعترى به ، ودخلت الى حجرتى  
ملقيا بجسدي على الفراش لأشرد ببصري في السقف الحجرة في صمت ... وذهول

كان عقلى منهكا بحق بعد رؤية هند وهي تشاهدنى وانا أقبل اختها الكبيرة وانا اشعر بدقات قلبي  
التي لم تهدأ بعد ، وتذكرت كلمات اسراء

اننا بالفعل لم نفعل شئ يستحق الاعتذار ، بعد كل هذه السنين .

بعد كل هذا الفراق ، بسبب تعنت الآباء ، تركونا نتعثر في دروب الظلام ، بكل قسوتها وهم  
يظنون انهم يقوموا بدورهم لحمايتنا

بعد ان قام والدى بممارسة سلطاته وقسותו على ، وعلى زواجه أيضا ، ورحل تاركا اياي  
منغمسا في نجاحات وهمية لا اعرف لها طعما ولا رائحة

ووالد اسراء الذى رفضنى لضعف حالى عندما تقدمت اليها حينذاك وهو يصر انه لن يتركنى  
انزوجها قبل ان اجهز شقة فاخرة باسمها في احد احياء القاهرة الراقية ، فهو لم يتبقى له من  
العمر الكثير ، ويجب ان يطمئن على ابنته البكر ....

وافترقنا عن بعضنا ، وانجينا الاطفال وانشغلت في حياتي ، ولكن لم انسى يوما ما همساتها  
وحضنها الدافى

لم المس جسد زوجتى يوما دون ان اتذكرها ، لم اضع راسي في صدر زوجتى الا بعد ان  
استحضر صورتها ، ولم اشعر بالسعادة سوى عندما اتخيل اننى في احضان اسراء ، وليس  
منال ، حتى اتغاضى عن ذلك التمثيل الردىء التي تقوم به زوجتى على الفراش وهي متصرفة  
انها ترضي رجلتى بتلك التأوهات الكاذبة

زفرت في ضيق شديد ، وتحسست الدمعة التي ذرفتها عيني اليسرى في صمت وكأنها تنفس عن  
نفسها دون ان ياذن لها عقلى ، فتأملت اصابعى ثم مسحتها في الوسادة وانا اغمض عيني . واغط  
في نوم عميق لم اشعر به منذ سنوات

حتى شعرت بالقلق على صوت اذان الفجر الذى شق سكون الليل ، ففتحت عيناي في كسل وانا  
اتجسس جسد زوجتى وعدت اغمض عيناي

وفجأة !!

قفزت من الفراش وانا اضى المصباح

لأقف وانا ارتعش في وسط الحجرة

فقد كانت جسد اسراء هو الذى يراقد على الفراش فى قميص نومها  
إلى جوارى ...

\*\*\*\*\*

مضت دقيقة كاملة وانا اتأمل جسدها الابيض وهي ترقد كالملانكة في الفراش ، وانا احاول ان  
اعتصر ذهني

فقد كنت متأكد من انى قد وصدت الباب جيدا ، جئى عجزت قدمائى على حملى وسقطت على  
الكرسي

مضى وقت طويل وانا انطبع اليها ، واتأملها حتى تثائب في شكل جميل وهي تفتح عيونها وهي  
تنتمل وتنتظر الى مبنسمة :

- صباح الخير يا حبيبي

سألتها في حدة

- ماذا حدث يا امراء ؟

اعتدلت بنصفها العلوى وهي تقول في توتر :

- ماذا تقصد ؟

اشرت اليها بانفعال وانا اتسائل مجددا :

- ماذا حدث بالضبط الليلة الماضية

زادت ابتسامتها اتساعا وهي تجيبنى :

- لم يحدث شئ

ارخيت ذراعى وبدأت اسيطر على مشاعرى وانا اتأمل صدرها الواضح ، ثم هزرت رأسي وانا  
اسأله :

- كيف دخلت الي هنا ؟

ال نقطت مفتاح صغير كان على الطاولة المجاورة للفراش وهي تقول :

- لقد اعطاني عم حسن مفتاح الشقة منذ ثلاثة اشهر

انعقد حاجبأي للحظة وانا لا احد تفسير سوى ان الباب الكسول قد اراح ذهنه من عناء البحث المتواصل عن اغراضى وقد اعطي المفتاح للجيران الذى يعلمون كل شئ ، فزفرت في قوة وانا ارفع رأسى اليها متسللا :

حتى عادت اسراء واسترخت في الفراش من جديد ، وهي ترفع ذراعها وهي تدعوني الى الفراش فتصاعدت ضربات قلبي في قوة وانا انظر اليها طويلا :

حتى هتفت في مزيج بين العتاب والدلال :

- هل ستتركنى وحدى هكذا طويلا ؟

وكانت هذه هي الكلمة الحسم فحزمت امرى ، والقيت كل افكارى خلفى وانا انهض لارتمى في احضانها الدافئة بكل اشتياق ولهفة ، وانغمستا في قبلة عشق طويلة لم ننسى مذاقها منذ زمن .

وداعبت عنقها باناملى وانا اقبله حتى دنت من شفتيها آهة صغيرة مكتومة ، وتخلصنا من ملابسنا كالمجانين لنحتفى بلقاء دام انتظاره الكثير

وفي خارج المنزل .

دوى صوت الاقامة لصلاة الفجر .

وبداية صفحة جديدة من صفحات الخيانة .

خيانة زوجين ... ولقاء عاشقين .

\*\*\*\*\*

انتهى لقاونا بعد ساعة كاملة

احسست بعدها بسعادة غامرة ، لم اشعر بها قط من قبل ، ومددت يدي أمسح العرق الذى يتسبب من جبيني وأنا ألقى بجسدى على الفراش جوار حبيبى وأنا أهث فى قوة.

وأغمضت عيني في استمتاع ونشوة حتى شعرت بجسد إسراء وهي تضع رأسها على صدرى وتداعب بطني بأناملها وبهمسها الجميل ، ولكنى كنت أسقط في بنر عميق الارهاق وغمغمت بكلمات غير مفهومة ، ثم اكتفى اللون الأسود كل شئ .

ومضى الوقت دون أن أشعر بشيء ، حتى أفقت على هزات خفيفة من يد إسراء، وفتحت عيني في كسل وأنا أتناءب ثم ابتسمت وأنا أشاهد ابتسامتها الجميلة وهي تقول :

- ألن تستيقظ لتدھب إلى عملك ... أم أنك لا ترعب في الذهاب؟

مدت إليها يدي لأمسك يدها وقربتها إلى فمي لأطبع قبلة على أصابعها ثم سألتها في خمول :

- كم الساعة الآن؟

أجبتني في دلال :

- الواحدة ظهرا

حدقت في وجهها في رعب ثم قفزت اختطف ملابسي في سرعة ، بعد ان تذكرت موعد الاجتماع الشهري في تمام الساعة الواحدة والنصف ولوحت بيدي مودعا في سرعة وأنا أفتح باب الشقة لأقفز درجات السلالم في سرعة وأستقل سيارتي وأنطلق بها مسرعا بين شوارع العاصمة

تاركا إسراء ، في حجرتى

التي نهضت لتبدأ حملة التنظيف داخل الحجرة وتبدأ بذلك الصندوق الذى يحوى جميع ذكرياتى

وتحققت المعجزة بوصولى بعد نصف ساعة فقط وأوقفت سيارتنى في مكانها المخصص أمام تلك البقبة الخاصة بالشركة ، ثم قفزت من السيارة وأنا ألتقط حقيبتنى من المقعد الخلفي وأنا أتحرك بنشاط ملحوظ وغير ب

حتى اقتحمت غرفة الاجتماعات بابتسامة عريضة قائلا :

- اعتذر عن التأخير

نظر مدير العلاقات العامة إلى الساعة وقال لي

- لم تتأخر على الاجتماع يا مدحت

كست الدهشة الحقيقة ملامحى وأنا ألقى نظرة خاطفة على الساعة الكبيرة المعلقة على جدار غرفة الاجتماعات وبالفعل ، وجدت أننى وصلت في موعدى ، وللمرة الأولى

فأخذت مقعدى ... وال فكرة لا تفارق رأسي، هل هذا التغير بسبب إسراء

أم بسبب الخيانة ...

# الفصل الثاني

انقضى الاجتماع بدون أن اشعر بالوقت، وقمت بمراجعة الأوراق والمفكرة الخاصة التي دونت عليها أهم ملاحظات الاجتماع، وغادرت الغرفة متوجهًا إلى مكتبي، وما إن رأته السكرتيرة الخاصة حتى قفزت من مكتبها وهي تعطيني البريد الخاص بي وهي تخبرني أن زوجتي منال قد اتصلت ثلاث مرات وهي تريدينني الاتصال بها للضرورة

نظرت إليها دون إجابة، وأوغلت برأسِي لأدخل إلى مكتبي وأغلق الباب وأنا ألقى بالحقيقة على الأريكة المواجهة للمكتب، ثم التفت حول المكتب لأجلس خلفه وأنا أSEND ذقني على يدي محدثاً بالهاتف

حتى غرقت في بحر الأفكار ...

فقد كانت الأحداث تتواتي في سرعة لم أعهد لها في حياتي الرتيبة، ولم يسبق لي أن شعرت بكل هذا النشاط بعد تلك الليلة التي أمضيتها مع إسراء ...

والاليوم، تبلغني السكرتيرة بأن زوجتي قد اتصلت بي ثلاث مرات متتالية، وتعد هذه السلسلة الأولى منذ أول يوم في زواجنا

لم ألبث سوى أن التقط نفساً عميقاً، وأطلقه في تنهيدة حارة وقوية، ثم التقطت سماعة الهاتف لأنصل بأرقام منزل في سرعة، حتى أجابت منال متسائلة عن المتحدث فأجبتها في سرعة

- إنه أنا يا منال ... مدحت ، بالأمر

هتفت في سرعة وقلق :

- مدحت ، أين كنت ... لقد اتصلت بك ثلاثة مرات ....

قاطعنها في ضجر بعد أن عرفت من صوتها أنه لا شيء يدعو للقلق :

- هل كل شيء على ما يرام؟

أجابني الصمت لفترة طويلة حتى قالت في نبرة من الرجاء :

- هل ستعود إلى المنزل اليوم؟

تسرب القلق إلى أعماقي، فقد كانت المرة الأولى بحق التي أجد فيها زوجتي ناعمة ومنكسرة بهذه الطريقة ، ولكنني أجبتها في النهاية بصوت متحسّر :

- بالتأكيد

أجبتني بصوت أكثر همساً :

- سأنتظرك

أغلقت الخط ، وظللت متسللة أنا أسمع صوت الهاتف بعد إغلاق الخط، ثم أغلق الخط أنا الآخر، وأناأشعر بأن الأيام القادمة ستحمل الكثير .... والكثير جدا

\*\*\*\*\*

دق الساعة معلنة تمام السادسة مساء نفس اليوم ، حيث توقفت أمام منزلي وما زالت الفكرة تسسيطر علىي منذ مكالمتي مع زوجتي منزل

لكنني نفست كافية الأفكار وأخرجت الهاتف المحمول لاتصل برقم إسراء بعد أن حفظتها باسم رجل حتى أتجنب أصابع زوجتي التي تبحث في كل مكان كما أتصور بدا قلبي في الخفقان عندما سمعت تلك الأغنية من على الجانب الآخر حتى جاء صوتها الحال

- مدحت

- يا حبيب مدحت ، كيف حالك ؟

- أنا بخير ، لماذا عنك ؟

- أوحشتي

- أنت أيضا

ساد الصمت قليلا، حتى هتفت إسراء في لهفة

- متى سأراك ؟

صمت قليلا وأنا أطلع إلى البناءة ثم أجبت

- قريبا يا إسراء ، قريبا جدا

وأغلقت سماعة الهاتف وأنا أقفز من السيارة في حزم وقد اتخذت قراري ، وأسرعت الخطى إلى شقتي في الدور الرابع ، لأبدأ الفصل الجديد من حياتي الزوجية ...

وأهداب الخيانة

\*\*\*\*

طرقت الباب عدة طرقات متتالية دون أن أستخدم مفتاحي الخاص وسمعت صوت أقدام ابني وهي تقترب في سرعة من الباب ، فارتسمت ابتسامة تلقائية وسريعة وأنا أشاهد وجهها الجميل الذي ظهر من خلف الباب ، وهي تتفاوز في طفولة وبراءة جميلة ، فالقططتها بين يدي ورفعتها عالياً لتنعلى معها ضحكاتها الصافية وفي دورة كاملة ضحك معها كالطفل الصغير وقد نسيت كل ما مررت به ثم أنزلتها على الأرضية وأنا أطبع على رأسها قبلة حنونة.

وسمعت صوت زوجتي يأتي من خلفي قائلا :

- حمد لله على سلامتك

التفت إليها في سرعة وتفحصتها في سرعة وأنا أكتم دهشتي، فقد كانت مختلفة في كل شيء ...

في ثوبها الأنيق وزينتها على غير العادة ، وحتى لهجتها ، ونظراتها المشتقة ...

وكل معالجة سريعة للموقف ، ارتسمت على شفتي ابتسامة سريعة وأنا أضع سلسلة المفاتيح وجهازني محمول على المنضدة كالمعتاد ، وتعتمدت عدم الاقتراب منها وأنا أخبرها أنني في حاجة إلى حمام ساخن، فألمات برأسها متفهمة وهي تجيبني في همس عجيب :

- لقد سبق وحضرته من أجلك

توقفت وأنا في طريقي إلى الحمام والتفت إليها أتأملها من جديد، محاولاً فهم كل هذه المعطيات الجديدة دون جدوى، حتى تمنت في سرعة واقتضاب:

- شكرا

ثم دخلت في خطوات سريعة أشبه إلى القفز باتجاه الحمام وأغلقته لأدور ببصري في المكان، وأراقب الشموع الجديدة بجانب المغطس وهزّت كتفى وأنا أطلق كل توترى في زفارة طويلة وأنا أتجبرد من ملابسي ، وأستلقي في هدوء لأعيد ترتيب أوراقى في رؤية وحدر ... ورغبة ...

\*\*\*\*\*

مضت ساعة كاملة ، حتى تمكنت من تصفية عقلي المكدود ، وقد قررت أن استمر في حياتي كما هي ، من أجل صغيرتي ومنزلي ، حتى لا تعانى من الصراع الذى طالما عانيت منه في حياتي، وخصوصاً أنتى قد وجدت حبى الأول ، ومتفسى خارج البيت .  
ابتسمت في المرأة عندما وصل تفكيري عند تلك النقطة، ومشطت شعري في عناية .

وخرجت وأنا أهتف باسم زوجي وووجتها تتحدث في الهاتف، وقد اعتراها الانفعال عندما وجدتني أمامها وأنهت المكالمة في سرعة وهي تجيب :

- أجل يا حبيبي

دب الشك في عقلى فجأة وأنا أهتف في حدة غاضبة :

- ماذا هناك، ومع من كنت تتحدثين ولا تريدينني أن أعلم؟

قفزت مناًل من الكرسي وهي تجيب في سرعة لا تخلو من التوتر :

- لاشئ يا مدحت، لقد اعدت لك الطعام.

وتحركت بسرعة باتجاه المطبخ، لكنى أمسكت بمعصمها في قسوة وأنا أجذبها نحوى لأنظر مباشرة في عينها قائلًا في صرامة :

- تعالى إلى هنا وأجيبيني، مع من كنت تتحدثين؟

تأوهت منال في ألم وهي تقول :

- مدحت، ماذا جرى لك؟ أنت تؤلمني

تركت معصمتها في حركة مباغته فامسكت به وهي تحدق بي ثم ترقرقت الدموع في مقلتيها وهي تجibly في صوت متهدج :

- إنني كنت أفضل أن تصبح مفاجأة سعيدة من أجلك يا مدحت، إنه عيد زواجنا وقد أردت أن أعد الحفلة من دون معرفتك كاعتذار لما سبق

وانهمرت دموعها وهي تغادر الردهة لتنتركى واقعاً أحدق في مكانها الذي كانت تقف فيه .... كالآبله.

\*\*\*\*

انسدل الليل بأسفاره السوداء، لأجلس في شرفة المنزل أرتشف قدح القهوة الذي اعتدت عليه في هدوء وأنا استمتع بنسمات الهواء لأنطلع إلى النجوم وكأنني أراها للمرة الأولى

كنت مازلت تحت وقع المفاجأة التي جهزتها منال من أجلى، ومازالت التساولات تملأني وتعصف بأفكاري

فهل من الممكن أن تتغير زوجتي لمجرد أنني تركت لها المنزل بهذه السرعة وأن تسعي لإرضائي ، وأن تعد الحفل لعيد زواجنا الذي لم نحتفل به من قبل، أم أنها في حالة نادرة للتغيير ، بخلاف الشعور بالذنب الذي يساورني بعد التفكير في إسراء، وهل يصبح إرضاء زوجتي هو الخيانة ، زفرت مجدداً في ضيق وأنا أضع القدح من يدي، واستغرقت في تفكير عميق حتى ارتفع أزيز الهاتف من على الطاولة، فالنقطة في سرعة لأجد رقم إسراء.

فنظرت حولي لأرى مكان زوجتي ووجذتها أمام جهاز التلفاز تتبع مسلسل المساء، فالنقطة الهاتف ونهضت من الكرسي لأقف في مكان يتتيح لي أن أرى حركة زوجتي دون أن تلاحظني، وجاء صوت إسراء مفعماً بالقلق عبر الهاتف قائلة :

- مدحت ، هل أنت بخير ؟

أجبتها في سرعة :

- أجل أنا بخير

تنهدت إسراء في ارتياح وهي تسألني :

- ولم تأخرت حتى الآن، ألن تأتى اليوم ؟

ترددت قليلا ثم أجبتها :

- إسراء، يبدو أنني لن أستطيع أن أحضر اليوم

أجابني الصمت لعدة ثوان حتى سألتني :

- هل سبب لك المزيد من المشاكل يا مدحت؟

أجبتها في سرعة :

- كلا، مطلقا يا حبيبي، إنني فقط متعب اليوم، كما أنتي في حاجة لأن تكوني غدا صباحا في موعد مبكر لإنتهاء بعض الأمور

ثم صمت قليلا لأتتابع :

- ولكنى سأمر عليك بالتأكيد في الغد

جائني صوتها في فرحة :

- حسنا يا حبيبي، سانتظرك

وأغلقت الخط ، ووضعت الهاتف في جيبي لأغادر الشرفة وأتخذ مقعدا على الأريكة بجوار زوجتي التي نظرت إلي في عتاب واضح، فابتسمت لها وأنا أمد إليها ذراعي فتأملتني لثانيتين، ثم اقتربت مني ووضعت رأسها على صدرى لتهمس :

- أشئت اليك كثيرا

لি�تعانق بعدها الجسدان ... مجددا

\*\*\*\*\*

استيقظت على صوت المنبه في الصباح الباكر، ومددت يدي في كسل جميل وأنا أكتم صوته المزعج وتناءبت في بطء وأنا أتأمل زوجتي وهي تنام بجواري ووجهها مضيء مثل الملائكة بعد ليلة حب طويلة لم نعشها سويا منذ زمن ...

ابتسمت وأنا أداعب وجنتيها بأناملها، واستيقظت هي وابتسمت في وجهي، وطبعت قبلة سريعة على شفتيها لأخبرها :

- ألن توقظي صغيرتنا لكي تذهب إلى المدرسة

أومأت برأسها وهي تتمتم بكلمات لم أفهمها ، ولكنني غادرت الفراش وشرعت في تبديل ملابسي بسرعة وأخرج مسرعا إلى حجرة المكتب لأجهز بعض الأوراق التي يتوجب علي مراجعتها بعد

اجتمع البارحة، والتقطت بعض الأوراق وأضعها في الحقيبة في سرعة، وعندما خرجت وجدت زوجتي تضع قدح الشاي المعطر برانحة النعناع وهي تقول لي :

- إلى أين، ألن تتناول هذا الكوب ... لقد جهزته من أجلك خصيصا؟

وقفتأتأملها من جديد، وبدأتأشعر بقلبي وهو ينبض من جديد من أجلها ، وابتسمت وانا أسألها :

- هل استيقظت غادة؟

أجابني صوتها الطفولي وهي ترکض من خلفي :

- أنا هنا يا أبي

استدرت إليها وأنا أجدها تقف بجانب الباب وهي تفرك يديها بتلك الطريقة التي تعنى أنها تريد أن تطلب شيئا ، فاطلقت ضحكة صافية وأنا أتناول القدح وأترك الحقيقة على الطاولة وأتوجه إلى الصغيرة قائلة :

- مالذى دهى أميرة قلبى، ماذا ت يريدين ؟

خفضت الصغيرة رأسها في حرج وهي تقول :

- أريدك أن تقلني إلى المدرسة

ابتسمت وانا أسألها :

- ولماذا؟

أجبتني في فخر :

- حتى يرى أصدقائي سيارتكم

ضحكت منال في صوت عال، وهي تقول :

- يبدو أن ابنتك قد أخذت أول صفاتك، الاهتمام بالظاهر

تأملت الصغيرة وأنا أتحسس شعرها ثم هتفت :

- سأوصلك يا غادة إلى المدرسة

قفزت الصغيرة في فرحة وهي تقول لأمها :

- هل ترين يا أمي، لقد كسبت ... أبي سيوصلنى الى المدرسة

ارتشفت رشفة كبيرة من قذح الشاي وأنا أشير لها أنتي أهم بالانصراف فلحقت بي منزل وهي تقول :

- سوف أقوم بالاتصالات المتبقية مع باقى الأصدقاء لأدعوهـم إلى حفل زواجنا فتحـت بـاب الشقة وأـنا أـلتـفت إـلـيـها لـأـتـأملـهـا مـنـ جـديـدـ، لأـبـتـسـمـ مـجـداـ وـأـنـاـ أـجيـبـهاـ :

- عـيد زـوـاج سـعـيد يـاـ مـنـالـ

وـغـادـرـتـ المـنـزـلـ

إـلـىـ يـوـمـ جـديـدـ ... وـأـحـدـاثـ جـديـدـةـ مـنـ أـهـدـابـ الـخـيـانـةـ  
\*\*\*\*\*

أـوـصـلـتـ غـادـةـ إـلـىـ مـدـرـسـتـهـاـ ، وـتـعـمـدـتـ أـنـ أـقـفـ بـالـسـيـارـةـ أـمـامـ بـابـ المـدـرـسـةـ لـأـتـرـكـ الفـرـصـةـ حـتـىـ  
تـذـهـبـ إـلـىـ أـصـدـقـانـهـاـ وـتـشـيرـ إـلـىـ السـيـارـةـ لـتـرـيـهـمـ أـنـهـاـ سـيـارـتـيـ، وـأـحـسـسـتـ بـالـفـخـرـ مـنـ أـجـلـهـاـ وـمـنـ  
أـجـلـيـ ثـمـ اـنـطـلـقـتـ إـلـىـ الـعـلـمـ ...

وـاسـتـغـرـقـتـ بـهـ حـتـىـ النـخـاعـ فـيـ الـأـورـاقـ وـالـخـطـطـ وـتـدوـينـ الـمـلـاحـظـاتـ حـتـىـ دـقـ جـرـسـ الـهـاـفـ

الـدـاخـلـيـ، فـالـنـقـطـ السـمـاعـةـ فـيـ ضـجـرـ وـأـنـاـ أـهـتـفـ :

- ماـ الـأـمـرـ يـاـ سـارـةـ، لـقـدـ أـخـبـرـتـكـ أـنـتـيـ لـاـ أـرـيدـ أـيـ مـقـاطـعـةـ

أـجـبـتـ السـكـرـتـيرـةـ فـيـ اـرـتـبـاـكـ :

- إـنـهـاـ مـكـالـمـةـ مـنـ فـتـاةـ تـدـعـىـ إـسـرـاءـ وـلـقـدـ أـصـرـتـ عـلـىـ الـاتـصـالـ بـكـ

تـذـكـرـتـ فـجـأـةـ أـنـتـيـ قـدـ أـغـلـقـتـ جـهـازـيـ الـمـحـمـولـ كـعـادـتـيـ قـبـلـ الـانـهـمـاكـ فـيـ عـمـلـيـ فـأـجـبـتـهـاـ فـيـ توـتـرـ :

- حـسـنـاـ، مـرـرـيـ الـمـكـالـمـةـ

وـكـانـتـ الـدـهـشـةـ تـغـمـرـنـيـ فـقـدـ نـسـيـتـ أـمـرـ إـسـرـاءـ تـمـاماـ، وـكـانـهـاـ لـمـ تـكـنـ فـيـ حـيـاتـيـ الـبـارـحةـ، فـهـلـ هـذـاـ  
يـعـنـىـ أـنـهـاـ كـانـتـ نـزـوـةـ فـقـطـ أـمـ مـاـذاـ؟

أـخـذـتـيـ الـأـفـكـارـ حـتـىـ تـدـفـقـ صـوـتـ إـسـرـاءـ بـمـاـ يـحـمـلـهـ مـنـ توـتـرـ فـيـ سـمـاعـةـ الـهـاـفـ

- مـدـحـتـ، أـيـنـ أـنـتـ؟ أـلـنـ تـكـفـ عـنـ هـذـاـ العـبـثـ؟

أـجـبـتـهـاـ فـيـ هـدـوـءـ :

- اـهـدـيـ يـاـ إـسـرـاءـ حـتـىـ نـسـطـيـعـ أـنـ تـتـحدـثـ

أـجـبـتـنـيـ فـيـ حـدـةـ مـبـاغـتـهـ

- لماذا أغلقت جهازك؟

بدأ الضجر يدب في صوتي وأنا أجيبها:

- إنني في العمل ولا أحب المقاطعة دون أمر مهم

مقاطعتي في ثورة :

- وهل أنا لست أمراً مهماً بالنسبة لك

أجبتها في انزعاج :

- ماذا هناك يا إسراء.. أهدئي قليلاً

ساد الصمت قليلاً ثم قالت لي :

- أريدك أن تأتي حالاً

هزرت رأسى وأنا أجيبها :

- لن أستطيع أن أغادر المكتب في الوقت الحا ...

مقاطعتي إسراء في برود :

- لقد اتصلت بي زوجتك يا مدحت ...

وأغلقت الخط ...

\*\*\*\*\*

لا ادرى كيف استطعت الانتظار حتى جاء وقت الانصراف من العمل، وانطلق غير مبال بالموظفين وهم يحذقون في وأنا أركض بين أروفة الطابق الذي أعمل فيه، وقفزت إلى المصعد بحركة لم أكن أتصور أني قادر عليها وتعلقت عيناي بأرقام المصعد حتى انفتح باب المصعد ، لانطلق إلى سيارتي بكل ما أحمله من طاقة في قدمي وقفزت نحوها غير مبال بالعامل البسيط الذى يقوم بترتيب السيارات أمام المبنى، وأدرت المحرك وانطلقت بالسيارة في حدة فأطلقت إطاراتها صريرًا مزعاً وأنا أجرى كالجنون بين طرقات القاهرة المزدحمة، وفي أقل من أربع عشرة دقيقة كنت أقف أمام باب إسراء وأنا أطرقه في إزعاج كامل وأنا أحاول التقاط أنفاسي في صعوبة.

حتى فتحت أختها الصغيرة هند الباب وقد بدا على قسماتها أقصى انطباعات الانزعاج والخوف والقلق، ولكن ما إن وقع بصرها علي حتى هتفت في دهشة :

- أستاذ مدحت ، ماذا جرى ؟

لم أجدها مباشرة وأنا أندفع إلى داخل المكان وأتلفت حولي باحثاً عن إسراء ولكن ما إن وقع بصري على شروق وهي تقف في ركن الردهة تحضن دميتها في قوة وهي تنظر إلى في رهبة حتى تجمدت في مكانها والتقت إلى هند لأسألها وأنا أحاول أن أتمالك أعصابي ليبدو على الهدوء:

- أين إسراء يا هند؟

هزت هند كتفيها في حيرة وهي تجيبني :

- إنها في العمل، لقد استدعوها اليوم لتقوم بالترتيب للحفلة

اختلط علي الأمر ل دقائق ثم هززت رأسي وبدأت الأفكار مشتتة في عقلى منهاك من التوتر والانهاك ثم سألتها في حدة :

- أية حفلة، ما هذا الهراء، ولماذا أغلقت هاتفها؟

انفجرت الصغيرة باكية من حدة صوتي ، وألقت علي هند نظرة مزدرنة وهي تتحرك مسرعة نحو شروق وتحملها في حنان، فدفعت الصغيرة رأسها في صدر خالتها وهي تبكي في صوت خافت، فهتفت هند في ازعاج :

- استاذ مدحت ، اسمح لي أن أخبرك أنك قد تعديت كل أصول اللياقة والأدب هنا

تراجعت خطوتين إلى الخلف وأناأشعر بالحرج الحقيقي لتصرفاتي أمام الطفلة التي لم تتحمل انفعالي، فخفضت رأسي وأنا أتمتن في خجل :

- أعتذر يا هند، ولكن أختك تدفعني للجنون بحق

جلست هند على المقعد المجاور لها وهي تحمل الطفلة بعد أن توقفت عن البكاء وهي ترمقني بنظرات مسترببة وساد الصمت المكان لدققتين، حتى أضاء مصباح ما إحدى الجوانب المظلمة في عقلى

فاندفعت نحو هند وأنا أسألها :

- هند، من هو زوج إسراء، لمن هذه الطفلة

حدقت هند في وجهي لثانية ثم أجبت :

- إنها طفلة إسراء و ...

فاطعتها في حدة:

- ومن يا هند .. طفلة من هذه

أجابتي في حدة

- ابنة حسن الصواف

وهنا فقط ، تخللت قدمي وسقطت على الكرسي المقابل لهند وأنا أحدق في وجه الطفلة

فقد كانت ابنة خطيب زوجتى ، السابق

وخصمى اللدود

\*\*\*\*\*

# الفصل الثالث

ساد صمت طويل ، حتى غطت الطفلة في نوم في أحضان هند أخت إسراء وحملت هند الطفلة لتصفعها في فراشها.

أما أنا فقد كنت في دوامة طويلة على نفس الكرسي الذي لم اتحرك منه وأنا أتذكر تاريخا قديما لشخص يدعى حسن الصواف ، ابن رجل الأعمال المشهور محمد الصواف، الذي تم اتهامه في أحداث قديمة ..

فقد كان صاحب أشهر شركات توظيف الأموال ، وكان يخفي أعمالا كثيرة غير مشروعة في الدولة ولكن علاقاته القوية كانت تخفي تلك الأمور دائما ، وكانت نشائهم عاديّة مثلنا جميعا ، لكن حسن كان دائما يكرهني ، لتفوقي الدائم في الدراسة عليه ، وكنتلاحظ دائما نظرات الحنق والحسد منه عندما يشاهدني وأنا أمشي في الشارع برفقة إسراء ، وكان دائم التحرش بها ، ولكن بعد ذلك الثراء المفاجئ الذي أصاب والده ، انتقلوا إلى أحدى الفلل بأرقى أحياء القاهرة ، وكنا نسمع الأخبار من حين لآخر عن ابنه حسن الذي أُلقي القبض عليه بالجامعة الأمريكية ، ثم جاء خبر فضيحة والده وهروبـه إلى الخارج ، وانقطعت الأخبار عن محمد وولده منذ ذلك الحين ، وتقدمت بعدها إلى خطبة إسراء ... ورفضـنى والدها ...

تاريخ غريب ، ولكنـي لم أقدر على نسيانـه أبدا ، وبدأت استنتاج الخطوات بعد زواجي من زوجـتـي مـنـذ ... وتخيلـتـ حـسـنـ وـقـدـ تـقـدـمـ لـخـطـبـةـ إـسـرـاءـ ، بـالـأـمـوـالـ المـهـرـبـةـ إـلـىـ الـخـارـجـ ، وبـالـطـبـعـ لمـ يـكـنـ أمـامـ والـدـ إـسـرـاءـ سـوـىـ الموـافـقـةـ وـإـتـمـامـ الزـوـاجـ فـيـ سـرـعـةـ ... وـالـغـرـيبـ أـنـيـ لمـ أـفـكـرـ طـوـالـ ذـلـكـ الـوقـتـ ، فـيـ مجـرـدـ الـزـيـارـةـ لـمـنـزـلـيـ الـقـدـيمـ ، أـوـ مـحـاـوـلـةـ الـاتـصـالـ بـإـسـرـاءـ التـيـ فـقـدـتـ الـأـمـلـ فـيـ الـاتـصـالـ بـيـ مـرـأـةـ أـخـرـىـ بـعـدـ أـنـ غـادـرـتـ المـكـانـ دونـ رـجـعـةـ ...

أـفـقـتـ مـنـ اـفـكـارـيـ عـلـىـ صـوـتـ أـقـدـامـ هـنـدـ وـهـيـ تـسـيرـ نـحـوـ الطـاـوـلـةـ لـتـصـعـ أـمـامـيـ قـدـحـ الـقـهـوةـ فـيـ صـمـتـ ثـمـ تـتـحـرـكـ فـيـ خـطـوـاتـ مـضـطـرـبـةـ لـتـتـخـذـ مـقـدـعاـ يـبـعدـ عـنـ قـلـيلـاـ ...

وـبـدـأـ الـفـضـولـ يـأـكـلـنـيـ لـمـعـرـفـةـ صـحـةـ مـاـ وـصـلـتـ إـلـيـهـ فـاعـدـلـتـ فـيـ مـقـدـىـ وـأـنـ أـسـأـلـ هـنـدـ فـيـ هـدوـءـ حـقـيقـيـ

- اعتذر يا هند عن تصرفـيـ ، ولكنـيـ فيـ حاجةـ لـمـعـرـفـةـ ماـ هوـ مـصـيـرـ حـسـنـ الصـوـافـ الآـنـ

نظرـتـ إـلـيـ هـنـدـ فـيـ اـرـتـيـابـ ثـمـ اـجـابـتـيـ فـيـ اـقـتـصـابـ :

- لقد غادرـ الـبـلـادـ مـنـذـ أـكـثـرـ مـنـ أـرـبـعـ سـنـوـاتـ ... وـانـفـصـلـ عـنـ اـخـتـيـ وـهـوـ خـارـجـ الـبـلـادـ ، بـعـدـ أـنـ حـجـرـتـ الـحـكـوـمـةـ الـمـصـرـيـةـ عـلـىـ باـقـيـ أـمـلاـكـ وـالـدـهـ . وـلـاـ يـعـلـمـ أـحـدـ عـنـهـ شـيـئـاـ حـتـىـ الآـنـ

التقطـتـ قـدـحـ الـقـهـوةـ وـأـنـ أـرـتـشـفـ مـنـهـ رـشـفـةـ صـغـيرـةـ لـأـسـأـلـهـاـ قـائـلاـ :

- وماـذاـ عـنـ اـخـتـكـ ، هلـ كـانـتـ سـعـيـدةـ فـيـ حـيـاتـهـ مـعـهـ؟

هزـتـ هـنـدـ رـأـسـهـاـ فـيـ قـوـةـ وـهـيـ تـقـوـلـ :

- مطلاً، فقد كان يعاملها كالجاربة، وكان يخفي في أعماقه انطباعات غريبة ولكنه كان شديد الدهاء والمكر في تصرفاته حتى ....

قطعت حديثها وهي تنظر إلى الأرض وتعض شفتها السفلية ، و كنت أتحرق شوقاً لمعرفة الأحداث ولكنني انتظرت في صبر

وأكملت هند مستطردة  
- حتى حاول ان يغتصبني

\*\*\*\*\*

اندفعت دموع هند في حرارة عند تلك النقطة ولم أقدر على فعل شيء ، فقد شعرت بالذنب وكأنى أنا السبب في كل ما جرى لإسراء وأختها ... فلم أكن أدرى ماذا أفعل .

حتى نهضت من على المقهى وأغادر المكان وأغلق الباب خلفي في هدوء ، وأستقل سيارتي وانطلق على غير هدى في شوارع العاصمة حتى توقفت أمام كورنيش النيل

وغادرت سيارتي ووقفت أتأمله في صمت .

فقد أصبحت الأمور معقدة للغاية، بعد كل ما سببته من ألم لإسراء وأختها ... وافتراقتنا طوال هذه السنين، حتى أنجبت طفلتها من حسن الصواف، وتذكرت تلك الدمعة التي ذرفتها إسراء عندما كانت في أحضاني ، تذكرتها جيداً وشعرت بما كانت تعانيه من ألم

شعرت بقسوة القدر وقرار أبي - ضابط الامن - الذي لم يحافظ على حياتي واستقرارى ، وإجباره لي على زواجي من منال ابنة المحافظ في ذلك الوقت لأغراضه الشخصية، وافتتاحه بأن هذا هو القرار الصائب .

وها نحن الآن ندفع ثمن أخطائهم .

أطلقت زفراً حارّة بما يعتمل في نفسي عندما وصل تفكيري عند تلك النقطة وتلتفت حولي لاجد فتى وفتاة يمشيان الهويني بجانب الكورنيش ويتهامسان وهم يمسكان بأكف بعضهما البعض، فابتسمت في حنان، وغادرت المكان في هدوء تاركاً لهما المكان

لأستقل سيارتي، وأنطلق عائداً إلى المنزل ... لأبدء في رسم حياة جديدة ، لا أعلم إلى أين ستقودني ...

\*\*\*\*\*

دقّت الساعة الثامنة مساءً وأنا ألتقط سلسلة مفاتيحي لأفتح باب المنزل بعدما أرهقني التجول في أنحاء المدينة.

ودخلت إلى البيت في خطوات هادئة، واهنة، وأفرغت متعلقاتي على الطاولة كعادتي دائمًا... وكان المنزل هادئًا جدًا.

حتى تحركت في سرعة إلى حجرة ابنتي لأجدتها نغط في نوم عميق، فتنفست الصعداء وصعدت درجات السلم في سرعة إلى حجرة نومي. ودنا إلى أذني صوت خرير الماء معناً أخذ زوجتي منال لحمامها اليومي، وفي بروز روتيني، فتوجهت إلى ركن الحجرة لأنقط منامي وأنا أفكر في كل المجريات التي أقتها لي الحياة في هذا اليوم، حتى قاطعني رنين هاتف زوجتي الخلوي.

فألقيت نظرة خاوية على الهاتف وأنا أصبح في زوجتي

- إنها مكالمة لك يا منال

ويبدو أن منال كانت مستغرقة تماماً لدرجة أنها لم تنتبه إلي، فمطربت شفقي في لا مبالاة وفتحت باب الحجرة

وتسمرت في مكانها

شيء ما قفز إلى عقلي بعد كل ما جرى، وربطت الأحداث الجديدة مع ظهور حسن الصواف في حياتي مجددًا، وبقفزة واسعة التقطت الهاتف، وتصاعدت الدهشة والشك في أعماقي إلى ذروتها

فقد كان الهاتف لا يحمل رقم المتصل

وبكل ما يجول في عقلِي من انفعال، ضغط على زر الإجابة ....

وبكل قسوة

\*\*\*\*\*

استلقت إسراء على الأرض المفضلة لديها في المنزل وهي تلتقط أنفاسها في صعوبة، وتشير إلى أختها قائلة وهي تخلع حذاءها :

- من فضلك يا هند، إنني أتوق إلى فنجان من القهوة .... وبشدة

نظرت هند إلى أختها الكبرى في اشفاف وهي تومي برأسها وتتجه إلى المطبخ في هدوء.

ثم التقطت الريموت الخاص بجهاز التلفاز وأخذت تقلب في القنوات الفضائية في ملل حتى ظهرت أختها وهي تحمل صينية القهوة وتضعها أمامها وتجلس إلى جوارها.

شكرتها إسراe بعقصمة وهي ترشفن القدح في استمتاع مرهق، حتى لاحظت إسراe أن أختها الصغرى لم تزح نظرها عنها وهي تحدق بها، فضحكـت في توئـر وهي تقول :

- مالذى أصابك يا هند، هل ترينـي لأول مرـة؟!

ابـسمـت وهي تخـضـنـ نـظـرـهـاـ إـلـىـ الطـاـوـلـةـ الـتـىـ تـتوـسـطـهـمـاـ وـهـيـ تـقـولـ فـيـ خـفـوتـ :

- لقد جاءـتـ مدـحـتـ إـلـىـ هـنـاـ

ابـسمـتـ إـسـرـاءـ وـهـيـ تـتـوقـعـ حدـوـثـ هـذـاـ،ـ فـهـزـتـ كـتـفيـهـاـ فـيـ لـامـبـالـاـةـ وـهـيـ تـكـمـلـ اـرـتـشـافـ قـهـوـتـهـاـ فـيـ هـدـوـءـ :

لم تلبـتـ هـنـدـ أـنـ حـسـمـتـ أـمـرـهـاـ وـرـفـعـتـ رـأـسـهـاـ وـهـيـ تـتـنـظـرـ مـبـاـشـرـةـ إـلـىـ إـسـرـاءـ قـاتـلـهـ :

- لقد أـخـبـرـتـهـ بـشـأنـ زـوـاجـكـ منـ حـسـنـ الصـوـافـ

وـمـاـ انـهـتـ عـبـارـتـهـ حـتـىـ سـقـطـ قـدـحـ الـقـهـوـةـ مـنـ يـدـ إـسـرـاءـ لـيـنـكـسـرـ فـوـقـ أـرـضـيـةـ الـغـرـفـةـ

وـبـمـنـتـهـىـ العنـفـ ...

\*\*\*\*\*

- منـ المـنـصـلـ ؟؟؟

هـنـتـ بـتـلـكـ الـعـبـارـةـ وـقـدـ شـارـفـ حـاجـبـاـ عـلـىـ الـامـتـزـاجـ مـنـ شـدـةـ انـقـادـهـماـ مـعـاـ ..

ولـمـ أـتـلـقـ جـوـابـاـ مـنـ الـطـرـفـ الـآـخـرـ،ـ لـكـنـيـ سـمـعـتـ شـبـحـ ضـحـكـةـ ماـ ..ـ أوـ هـكـذاـ خـيلـ لـيـ

- ماـذـاـ تـفـعـلـ يـاـ مـدـحـتـ؟

علاـ صـوـتـ زـوـجـتـيـ بـتـلـكـ الـعـبـارـةـ لـيـرـتـعـشـ جـسـدـيـ وـيـسـقـطـ الـهـاـنـفـ منـ يـدـيـ لـيـسـقـطـ هوـ الـآـخـرـ عـلـىـ الـأـرـضـيـةـ وـيـظـهـرـ ذـلـكـ الشـرـخـ عـلـىـ شـاشـتـهـ الـعـرـيـضـةـ وـاـنـاـ التـفـتـ إـلـيـهـاـ صـارـخـاـ :

- منـ الذـىـ كـانـ يـحـادـثـ؟

تـطـلـعـتـ إـلـىـ مـنـالـ لـعـدـةـ ثـوـانـ بـاـنـفـعـالـ لـمـ أـسـتـطـعـ تـحـديـدـهـ ثـمـ أـجـابـتـ فـيـ حـدـةـ وـهـيـ تـشـيرـ إـلـىـ الـهـاـنـفـ :

- أـنـتـ الذـىـ يـجـبـ أـنـ تـجـبـ هـذـاـ السـؤـالـ،ـ فـقـدـ سـمـحـتـ لـنـفـسـكـ بـالـإـجـابـةـ

أـرـتـجـفـ جـسـدـيـ أـكـثـرـ وـأـنـاـ أـصـرـخـ :

- إـنـهـ لـمـ يـجـبـنـيـ،ـ وـكـانـ الرـقـمـ مـحـجـوـبـاـ،ـ أـخـبـرـتـيـ أـنـتـ مـنـ الذـىـ يـحـادـثـكـ

صرخت منال وهي تلقى بالمنشفة على الفراش وقد انتقلت لها عدوى الصراخ :

- مالذى دهاك يا مدحت؟ منذ متى وأنت تسألني عن من يحادثنى، لتفحص الأرقام في  
الفاتورة القادمة بنفسك

وتركتنى لتجلس أمام المرأة وهي تعدل من زينتها وكان شيئاً لم يكن وأنا أنظر إليها وأكاد أحترق  
من فرط الغضب حتى صحت فجأة :

- منذ متى وأنت تأخذين حمامك في هذا الموعد؟

توقفت منال عن وضع زينتها وهي تلقت إلى محققة بي غير مصدقة وهي تسألنى :

- ماذا تقصد؟

شعرت أتنى قد ضربت على الوتر الحساس وأنا أصبح في هياج حقيقي بعد ان تأكدت من ذلك :

- أعني أن هناك شخصاً ما يدخل منزلي، أقصد أنك خائنة، أقصد أنك ساقطة رخيصة

ورفعت يدي اليمنى لأنهال علي زوجتى بصفعة هزت كيانها وهي تقف محققة بي في ذهول،  
وتناهى إلى أتنى صوت ابنتي وهي تركض مسرعاً إلى الحجرة منادية باسم زوجتى

وتسمرت منال لعدة ثوان، وتوقفت ابنتي بعينيها الحائرتين في مكانها وهي تشاهدنا لأول مرة  
بهذا الموقف

ثم رفعت منال ذراعها الأيسر وهي تشير إلى باب الحجرة قائلة في صوت متحشرج :

- غادر منزلى يا مدحت، لا أريد أن أراك هنا مجدداً

تراجعت خطوتين إلى الوراء غير مصدق لما أسمعه وأكملت منال حديثها قائلة :

- إن هذا منزلي، وبما إتنى أصبحت الخائنة، فلا يحق لك البقاء فيه

ظللت أحدق في وجه زوجتى وكأنى أراها لأول مرة حتى صاحت بشكل هستيرى :

- قلت لك أغرب عن وجهي

وانطلق بكاء ابنتنا يشق المكان وأنا أهرول من المنزل ... وكان كل شياطين الجحيم تلاحقنى  
وأندرت محرك السيارة وأنا أدير عيني في المنطقة لأشاهد الجميع ينظرون إلى من نوافذ  
حجراتهم

وانطلقت سيارتي مطلقة صريراً مزعجاً نحو هدف واحد

تاركا خلفي دون أن أدرى ... زوجتى منزل

وهي تلقط سماعة الهاتف وتطلب رقما خاصا

رقم الشيطان ..

شخصيا ...

\*\*\*\*\*

قفزت هند في فزع بعد سقوط الفنجال من يد اختها الكبرى اسراء و تلك الاخيره تصيح فيها  
جنون  
- ماذا فعلتي أيتها التعسة ؟

وضعت هند يدها على صدرها محاولة تهدئه قلبها وهي تتطلع ريقها في صعوبة قائلة :

- ماذا هناك يا إسراء؟

دفت إسراء وجهها بين كفيها وهي تقول في صوت متهدج :

- لقد هدمت كل شئ يا هند، أنت لا تعرفين مدحت مثلكما أعرفه أنا، لن يستسلم حتى يصل  
إلى حسن

سألتها هند في حيرة :

- وماذا في هذا ؟

رفعت إسراء عينيها إلى اختها الصغيرة الحائرة والدموع التي تسيل من عين اختها وهي تقول:

- إن حسن الصواف هنا في القاهرة يا هند، وقد كنت معه البارحة ، وقد أخبرنى بموافقته  
على تكفله بمصاريف دراستك التي ترغبين بها في الخارج بعد الانتهاء من التخرج ،  
وكان الثمن هو تقديم رأس مدحت اليه

وانطلقت شهقة هند مع رنين جرس الباب الذى يدقه مدحت في جنون، ليعلن بداية المنحنى  
الأخير مع تلك الإهدا

اهداب الخيانة

\*\*\*\*\*

انزعج مدحت كثيراً وهو يدق الجرس عدة مرات دون مجيب، دون أن يعلم ما الذي يجري خلف الباب ، فقد أوشك على فقد عقله الذي يضج بمنات الأسئلة، ويريد إجابتها بأية طريقة ولم يجد سوى إسراء

أما في الداخل فقد أشارت إسراء إلى اختها بأن تدخل إلى غرفتها، وتحركت اختها كالمصدومة غير مصدقة لما سمعته الآن.

ونزعت إسراء ستّرتها وهي تلقط منديلًا من على الطاولة لتمسح به دموعها وتعديل من وضع زينتها في سرعة وحرفيّة وفتحت أزرار القميص في سرعة وهي تلقى نظرة على المرأة التي بجانب الباب وهي تحمل مزيجاً بين البعض والامتعاض واللهمّة.

وتوقف دق الجرس بعد أن يأس مدحت من الإجابة واستدار متوجهًا إلى باب شقته ولكنه سمع صوت الباب وهو يفتح، فاستدار في حدة وهو يرى وجه إسراء يطل من خلف الباب وهي تبتسم في خمول وكسل قاتلتين :

- مدحت

ارتبك مدحت قليلاً ثم سأّلها :

- هل كنتِ نائمة؟

أجبته في ابتسامة حنون بعد أن تأكّدت أنها قد كسرت حدة اللقاء :

- بل كنتِ أستعد للنوم

صمتت لثانية وهي تغمّزه بعينيها :

- هل تنوي المبيت هنا .... وحدك؟

صمتت مدحت دون إجابة وهو في قمة الحيرة وقبل أن يفتح شفتيه ليجيبها، استطردت إسراء في سرعة :

- سأغير ملابسي وسأأتي إليك في عشر دقائق

وأغلق الباب واستندت إليه وهي تطلق دمعتها الحبيسة في صمت، ثم تحركت إلى مقعدها لتجمع أشلاء فنجانها المكسور ..

\*\*\*\*\*

# الفصل الرابع

قطعت منال الردهة ذهابا وإيابا وهي تفرك يدها في توتر شديد  
وهي تراجع خطتها بكمال حذافيرها ، فقد استمعت إلى حسن في كل شيء نصحها به  
لكنها لم تعد تقدر على التمثيل أكثر من هذا  
إنها بحق أصبحت تكره مدحت من أعماق قلبها ...  
وهذا ما دفعها للجوء إلى حسن الصواف  
واستشارته  
الذى كان له نصيب الأسد فيما يجرى  
حتى أصبح هدف تحطيم مدحت أكثر مما ترغب فيه شخصيا  
لكن بعد ما حدث هذا اليوم  
فقد قطعت الطريق  
وتعجلت النهاية ...  
وقررت أن تضع خطوط النهاية في حفل الزواج الأخير

\*\*\*\*\*

توقفت إسراء أمام باب مدحت قليلا ثم حسمت أمرها وطرقت الباب ثلاثة طرقات متتالية  
ولكنها لم تجد استجابة ، فأطلقت زفارة طويلة وضغطت على جرس الباب  
وسمعت وقع أقدام مدحت ، ثم ظهر من خلف الباب وهو يرميها بنظرة طويلة وترك الباب  
مفتوحا ودخل إلى غرفته مباشرة  
فدخلت إسراء بسرعة وأغلقت الباب خلفها وهي تراقب ما جرى للمنزل ، فقد كان من الواضح أن  
مدحت يبحث عن شيء ما  
وتصاعدت مخاوفها عندما سمعت صوت الصندوق وهو ينسحب من أسفل سرير مدحت

فتحركت بسرعة وهي تراقب مدحت وهو يفرغ أغراضه بعصبية

فسألته في توتر :

- عن ماذا تبحث يا مدحت؟

هز مدحت رأسه دون إجابة ، فمالت إسراء عليه وهي تضع يدها حول عنقه وتلتصق به من الخلف وهي تهمس في أذنه :

- هل تريدين مساعدة؟

توقف مدحت وارتعد جسده ، وشعرت إسراء بتلك الرعشة ، فابتسمت في نصر وهي تتبع :

- ألم تفضل أن نقوم بشيء آخر

نهض مدحت من جلسته التي تشبه القرفصاء وهو يستدير لمواجهة إسراء مباشرة

وهو يتأمل وجهها الجميل ويستنشق عطرها المميز ليملأ به صدره

ثم ابتسم لينطق بجملة واحدة :

- هل تقبلني الزواج مني يا إسراء

\*\*\*\*\*

هناك ... على بعد عدة أميال من القاهرة الجديدة

وعلى الطريق المؤدي إلى مدينة الإسكندرية السريع

توقفت أحدي السيارات الفارهة أمام بوابة لفيلا ضخمة ، واطلقـت نفيراً لمرتدين متناثرين ، لتنفتح بوابة الفيلا في هدوء ...

لتتساب السيارة إلى داخل الفيلا في سلاسة ونعومة ، حتى ظهر أحد الخدم وهو يركض إلى السيارة في سرعة وهو يفتح بابها الخلفي وينحنى انحناه مبالغة وهو يقول :

- إن السيد ينتظرك يا سيدتي

غادرت السيدة السيارة في سرعة وهي تحث الخطى حتى وقفت في الردهة وهي تحاول في صعوبة ان تتبع ريقها وهي تنظر إلى باب المكتب المفتوح أمامها والضوء الخافت والموسيقي تنساب من الحجرة ، ثم استجمعت شجاعتها ودخلت إلى الغرفة لنقف أمامه .

أمام الشيطان ... شخصيا

النقطت هند هاتفها المحمول وهي تحاول الاتصال عبئاً بأختها الكبرى بعد ان غادرت المنزل ، وجاءتها الرسالة المسجلة التي تفيد ان الهاتف خارج نطاق الخدمة في رتابة وملل ، واطلق زفرة حارة وهي تقذف بالهاتف على الفراش ، والقت جسدها على الأريكة الكبيرة التي تواجه الفراش وهي تنظر إلى هاتفها المحمول

حتى ارتفع صوت صياح الطفلة ، فاسرعت تغادر الغرفة الى غرفة الطلفة المجاورة لها مباشرة لتأخذها في احذانها وهي تربت على كتفها قائلة :

- لا تقلقى يا صغيرتى ، انه حلم مزعج

واستمرت في تهدئتها حتى أسللت عينها في نعومة وبراءة من جديد وارقدتها في هدوء وحرص على الفراش .

ونهضت لتمسك الغطاء ، وتسمرت في مكانها وهي في ذلك الظرف الأصفر الذي ظهر طرفه من أسفل الوسادة .

ثم مدّت يدها المرتجفة لتنقطعه في سرعة وهي تحاول ان تغادر الغرفة ، وبقفزة واحدة اصبحت في ردهة المنزل وهي توقد الانوار وتقضى المظروف في عنف ، وتقرأ سطوره القليلة

لتطلق شهقة جزع ... وداع . ممهورة باسم اختها الكبرى

إسراء سالم

\*\*\*\*\*

انقضت ساعات الحب الطويلة بين إسراء ومدحت في حب عنيف ، على عكس لقائهم الأخير ، ثم غط مدحت في نوم عميق في احضان اسراء التي شرعت تداعب خصلات شعره وهي تتأمل ملامحه في صمت

فقد انتهى دورها واستلمت ما تريده لتومن حياتها وحياة طفلتها ، ومستقبل اختها الصغرى .

وكان الثمن هو تسليم عشيقها وحبها الوحيد الى يد حسن الصواف بنفسه .

ولكنها لم يكن لديها الخيار ، فهى تعلم ما قد ستؤول اليه الامور ان رفضت ، أو حتى اشارت بالاعتراض

فقد كانت ابنتها هي الثمن .

والاليوم بعد انتهت الخطة

ولم يتبقى سوى الخطوة الأخيرة ...

جاء حبيب العمر ليطلب منها الزواج

وأصبحت أمم المفترق الصعب

وكان عليها الاختيار

فقد أصبحت الدقائق ثمينة ... للغاية

\*\*\*\*\*

- هل حصلتى على الخاتم

نطق ذلك الشخص الذى يجلس خلف المكتب والظلال تخفي الكثير من ملامحه وهو يتحدث في صرامة وخشونة الى تلك السيدة

فأومأت السيدة برأسها في ايجاب ، فأشار لها بالجلوس على الكرسي المواجه إليه بجوار الباب

فجلست والقلق يرسم على ملامحها في وضوح وهي تقول :

- هل يمكننى أن أرى أخي الآن ؟

أجابها الرجل في اقتضاب :

- كلا ، انه نائم ...

صمتت السيدة وهي تنظر إلى أرض الحجرة في انكسار ، مما جعل الرجل يضحك في استهانة واضح وهي يقول في تهكم :

- يبدو أنك قلقـة عليه

رفعت السيدة رأسها في ذل ...

فاكمل الرجل وهو ينهض من على مكتبه وهو يتحرك نحوها وتظهر ملامحه في وضوح وهو ينحني لينظر إليها مباشرة

- لقد انتهى الامر ... وستقيمين الحفلة في الغد ، ليحضرها الجميع لتناولن كل ما ترغبين  
 يامنال

واطلق ضحكته التى بدت أنها تتردد في الجدران في قوة

وأخلق قلب منال معها ، بعد ان أصبح باب العودة مستحيلا

تململ مدحت في الصباح وهو ينظر إلى ساعة الحائط في كسل وهو يبتسم لرؤيه اسراء وهي تصف شعرها امام المرأة التي ابتسمت له عندما رأته وهو ينظر اليها ، ونهضت لتجلس على طرف الفراش وهي تقول في دلال :

- ألم يحن الوقت لكي تنهض ؟

ابتسم وهو يجيبها :

- اليوم العيد القومى لتحرير سيناء ، بمعنى آخر أننا سنقضى اليوم سويا

هذت اسراء رأسها نافية وهي تقول :

- كلا ، يجب عليك ان تذهب لكي تجهز نفسك لعيد ميلاد ابنتك ، وشراء هديتها اليوم .

ظهر الازعاج على وجه مدحت ، وقد تذكر ان اليوم هو موعد عيادة ميلاد ابنته في النادي ، وتضاربت الاحداث في رأسه

فابتسمت اسراء وهي تضع يدها على قلبها :

- لا تقلق يا حبيبي ، سأكون معك ...

اجابها في حيرة

- ماذا تعنين ؟

زادت ابتسامتها في غموض وهي تهتف :

- هل نسيت ان زوجتك قد وجهت لي دعوه بهذه المناسبة

واتسعت ابتسامتها اكثر ... واكثر ...

\*\*\*\*\*

وقت منال زوجة مدحت تشرف على الاعدادات الخاصة لحفل عيد ميلاد ابنتها في ذلك النادي الذي يعد من أرقى الأندية في القاهرة ..

وقد اصابها القلق لما سيجري في هذا اليوم ، وحرصت ان تظل القاعة خالية ولا يدخلها سوى الطاقم الخاص باعداد الحفلة ، وهى تنقل بصرها بين الفترة والأخرى بين ساعتها وبين العاملين في القاعة حتى فرغت من كل الترتيبات وراجعت اسماء المدعوين مع المقاعد وفقرات الحفل المقترحة

وخرجت لالتقط ابنتها التي تلهو وتعلب مع عدد من الاطفال في احدى القاعات المخصصة في النادي ، وذهبت معها لتغيير ملابسها استعداداً للحفلة ...

في نفس الوقت الذي استقلت فيه اسراء سيارة مدحت وهي تطلق ضحكة عالية قائلة في سعادة حقيقية :

- ان هذا الخاتم اروع بكثير من ذلك الخاتم القديم يا مدحت

ابتسم مدحت في رصانة غير معهودة وهو يرد باقتضاب :

- ولكنك لا تعرفين قيمة الخاتم الآخر

تسرب القلق الى اعمق اسراء فاسرعت تسأله في دلال :

- وهل ستعلن خطوبتي اليوم امام زوجتك

ضم مدحت شفتيه وهو يشعل محرك سيارته مجيباً :

- هذا يعتمد ....

ثم بتر عبارته وهو يعقد حاجبيه مفكراً ، فسألته اسراء في الحاج :

- يعتمد على ماذا يا مدحت ؟

جذب مدحت ذراع السرعة وهو ينطلق بسيارته قائلاً :

- يعتمد على ما سيجري في هذه الليلة

وانطلق مسرعاً في طريقه الى النادي ، فقد كان عقله يشتعل بمئات الافكار ، وقد أيقن ان هذه الليلة ستكون مميزة

للغاية

\*\*\*\*\*

# الفصل الخامس

بدأ الاصدقاء والمدعويين يتواوفدون على القاعة ، وتعالت اصوات الضحكات والدعابات ومنازل تتنقل بين المدعويين وعلى شفتيها ابتسامة مدرستة

وهي تحاول التغلب على فلقها الذي اصبح على ذروته ، حتى ارتفع صوت رنين هاتفها فاعذرت في لبقة وهي تتحرك مسرعة الى باب القاعة وهي تجيب على الهاتف في سرعة وتؤثر :

- كلا .... لم يظهر بعد
- لا تأتى الان ، اريدك ان تدخل الى القاعة بعدها بنصف ساعة على الاقل
- أجل ، ان الخاتم في طريقه خارج البلاد الان
- لا تقلق ، سأذهب الان حتى لا أفت الانظار

واغلق السماuga في قوة وهي تعود الى القاعة لتذوب وسط الجموع حتى ارتفع صوت مدحت في المكان في مرح :

- من هو حبيب بابا

وارتفع بعدها صوت ابنته في الطرف الثاني من القاعة :

- أنا يا بابا

تعالت ضحكات الجميع ، ولكنهم لم يلبثوا ان انقطع ضحكاتهم وهم يرون مدحت عن باب القاعة الخاصة بالاحتفالات وهو يمسك بدمية كبيرة الحجم في شكل دب أبيض اللون وبجواره كانت تقف اسراء

وفي أبيه صورها ...

\*\*\*\*\*

تعالى صوت النداء الأخير في مطار القاهرة الدولي مكررا عن اقلاع الرحلة التي ستتجه الى مدينة بروكسل وظهرت هند وهي ترکض في المكان باتجاه الاستعلامات لتعرف رقم بوابة تلك الرحلة ثم رکضت باتجاه البوابة ووقفت وهي تحمل علبة صغيرة ، وبصرها يجول في ارجاء المكان باحثة عن شيء غير محدد ، وفي صمت اقترب منها كهل يرتدى بدلة بيضاء انيقة بدت متناسقة مع لون شعره الشاھق البياض حتى اصبح خلفها مباشرة ونطق بلغة عربية ركيكة :

- هل تبحثين عن شخص يا آنسة

التفت اليه هند في حدة وهي ترمي ذلك المنديل الاسود الذين يزین البدلة في مزيج من الحنق والارتياب ، ثم ابتعدت ريقها في صعوبة وهي تومي برأسها وهي تجيئه :

- أنتي ابحث عن رجل يغرق نفسه في البحر الاسود

ارسم شبح ابتسامة على ذلك الكهل وهو يحبها

- يمكنني ان أساعدك ولكنني احتاج الي مظلة

ثم مده يده الي هند التي ترددت لوهلة ثم وضعت العلبة في يد الكهل الذي وضعها في وغادر المكان في سرعة :

ووقفت كالتمثال والزحام يبتعلها ، بعد ان نفذت ما طلبته منها اختها الكبرى ...

وبعد ١٨ دقيقة كاملة ... انطلق النداء معلنا اقلام الطائرة بنجاح ...

عندما فقط ، انفجرت هند بالبكاء

وبحرارة

\*\*\*\*\*

صمت الجميع فجأة وركضت الطفلة الصغيرة باتجاه والدها وهي تطلق صرخاتها المرحة وتتفز للتقط الدمية وترقص بها ، ليبدأ التهams يسري في القاعة ومنال تنفس وهي ترمي اسراء بنظرات غير مفهومة

وفي هدوء مستفز تقدم مدحت منها وهو يضع يده في يد اسراء حتى وقف امامها في هدوء وهو يتأمل ملامحها قائلا :

- منال ، اقدم لك اسراء سالم

مطت منال شفتيها في امتعاض قائلة :

- غنية عن التعريف

هز مدحت رأسه نافيا :

- لا اعتقد هذا ... فانا لم اكمل عبارتى

ثم صمت قليلا وقال :

- زوجة المستقبل

\*\*\*\*\*

فرك حسن الصواف يده في توئر شديد وهو يجلس خارج القاعة وعيناه متعلقة على بابها وهو يتنتظر رنين الهاتف بين لحظة وأخرى

فقد كان مستقبلاً ومصيره متعدد في هذه اللحظات ، ثم اخرج قداحته في عصبية ليشتعل سيجارة وي النفث مع دخانها توئره

والقطط جهاز الهاتف من جيب سترته وهو يعيد الاتصال بمنال مجدداً وانتظر ذلك الصوت الرتيب من الجهة المقابلة ، لكن دون اجابة

فاغلق الهاتف ووضع على واستمر ينفخ دخان سيجارته في قوة ، حتى انتهت وقام باشعال واحدة تلو أخرى حتى ارتفع رنين الهاتف معلنة وصول رسالة جديدة فالقطط الهاتف في انفعال جارف وهو يقرأ عبارة محددة

(تمت الصفقة بنجاح )

وهنا فقط ... تنفس الصعداء ، واطفا سيجارته بكل قوة على المطفنة ، وارتسمت ابتسامة النصر على شفتيه وهو ينهض من مقعده في انتصار ويغلق ازرار سترة وهو يتجه نحو باب القاعة ، ليضع بصمه الاخير على انتصاره الاخير

\*\*\*\*\*

حدقت منال في وجه مدحت لدقائق كاملة ثم هتفت كالمأخوذة :

- زوجة المستقبل

او ما برأسه ايجاباً وهو يهتف في صرامة :

- اجل

وامسک بمعصمها وهو يقودها الى طاولة في نهاية القاعة ، واستمرت ببرامج الاحتفل في صخب حتى ظهر احد السحرة ليقدم فقراته والتلف الجميع من حوله وهم يطلقون ضحكاتهم دون ان يتتبهوا لما يجري

وجلست اسراء والقطط مدحت احدى الكراسي وهو يهتف بلهجة امرة :

- تفضل بالجلوس يا منال

جلست منال دون ان تشيح بنظرها عن وجه مدحت وجلس الاخير في المقعد المواجه لها وهو يضحك مشيرا الى الخاتم الذي ترتديه منال :

- أين الخاتم يا منال

ارتعشت منزل وكأنها تفيق من حلم عميق وهي تنظر الي يدها وتبدل نظراتها الى نظرة مفعمة بالحقد والكراهية وهي تقول :

- أنه شعار خيانتك يا مدحت

زادت ابتسامة مدحت وهو ينقل بصرها بينها وبين اسراء التي بدا عليها التوتر ثم اسطرد :

- لست أقصد هذا الخاتم ، بل أقصد الخاتم الآخر

ارتفع صوت حسن من خلف مدحت وهو يقول ساخرا :

- انه في ايد امينة يا مدحت

استدار مدحت الى حسن مبتسمًا وهو يتأمله من الاعلى الى الاسفل

وانفجر ضاحكا ....

مفجراً الدهشة في الجميع

\*\*\*\*\*

النفت من في القاعة تجاه مدحت الذي استمر في ضحكته وكأنه أصيب بالجنون ثم نهض وهو يشيخ بيديه قائلا :

- لا تلقو بالا لما يجري ، اكملوا فقرات الحفل

ثم استدار لمواجهة حسن وهو يقول في لهجة غامضة وغريبة على شخصيته :

- اعتقاد ان بيننا حديث طويل

اجابه حسن بابتسامة عريضة وهو يحاول ان يفهم ما الذي يجري بخلد مدحت :

- بكل تأكيد يا صديقي

النفت مدحت الى السيدتين وهو يقول بحركة استعراضية :

- هل تتفضلون معنا لنكمل حفلتنا الخاصة

وتحرك بسرعة الى الغرفة الخاصة بالتجهيزات وبإشارة منه لتخلوا القاعة من العاملين

لتبدأ المواجهة الاخيرة .... والخامسة

دلف الأربعـة الى الغرفة والتـوتـر يجـتـاح اسراء حتى انـها جـلـست عـلـى اول مـقـعـد صـادـفـها بـعـد انـ عـجزـت قـدـماـها عـلـى حـمـلـها وـاـغـلـقـ مـدـحـتـ الـبـابـ وـهـوـ يـلـقـتـ اليـهـمـ بـابـتـسـامـتـهـ العـرـيـضـةـ :

- حسن الصواف ... عدوى اللدوـدـ

انـعـدـ حاجـباـ حـسـنـ وـهـ يـقـولـ :

- وـالـمـنـتـصـرـ عـلـيـكـ دـائـماـ يـاـ مـدـحـتـ

غمـزـ مـدـحـتـ زـوـجـتـهـ منـالـ بـشـكـلـ خـبـيـثـ وـهـوـ يـشـيرـ عـلـىـ منـالـ قـائـلاـ :

- بـالـطـبـعـ وـالـفـضـلـ يـعـودـ عـلـىـ زـوـجـتـيـ منـالـ وـعـشـيقـتـكـ الـجـديـدةـ

ارـتفـعـ حاجـباـ حـسـنـ الصـوـافـ فـيـ دـهـشـةـ وـانـفـجـرـ ضـاحـكاـ بـدـورـهـ هـذـهـ المـرـةـ وـابـتـسـمـتـ منـالـ فـيـ سـخـرـيـةـ وـهـيـ تـجـبـ مـدـحـتـ :

- عـشـيقـةـ مـنـ ايـهاـ الغـبـيـ ،ـ آـخـيـ ...ـ حـسـنـ الصـوـافـ آـخـيـ

وارـتفـعـ ضـحـكـةـ حـسـنـ اـكـثـرـ وـاـكـثـرـ

وـكـانـتـ المـفـاجـأـةـ مـنـ نـصـيـبـ مـدـحـتـ

\*\*\*\*\*

حاـولـتـ هـنـدـ اـنـ تـحـافظـ عـلـىـ هـدـونـهـ اـمـامـ الضـابـطـ المـسـؤـولـ فـيـ المـطـارـ وـلـكـ جـسـدهـ ظـلـ يـرـتـعـشـ  
كـالـعـصـفـورـ فـيـ لـيـلـةـ مـمـطـرـةـ

وـرـمـقـهاـ الضـابـطـ فـيـ نـظـرـاتـ صـارـمـةـ حـتـىـ سـأـلـهـاـ فـيـ خـشـونـةـ :

- هلـ تـوقـعـينـ عـلـىـ اـقـوالـكـ يـاـ آـنـسـةـ هـنـدـ

اوـمـأـتـ هـنـدـ بـرـأسـهـ ،ـ فـتـرـاجـعـ الضـابـطـ فـيـ مـقـعـدـهـ ثـمـ التـقـطـ سـمـاعـةـ الـهـاـفـ وـاـجـرـىـ اـنـصـالـ قـصـيرـاـ لمـ تمـضـ دـقـيـقـتـانـ حـتـىـ دـخـلـ اـحـدـ رـجـلـ ضـخـمـ الجـثـةـ اـلـىـ المـكـتبـ وـهـوـ يـضـعـ عـدـدـاـ مـنـ الـاـورـاقـ اـمـامـ  
الـضـابـطـ عـلـىـ مـكـتبـهـ وـهـوـ يـقـولـ فـيـ سـرـعـةـ :

- هـذـهـ قـائـمـةـ الـمـسـافـرـينـ عـلـىـ الرـحـلـةـ الـمـتـجـهـةـ اـلـىـ بـرـوـكـسـلـ سـيـادـةـ العـقـيدـ

اوـمـاـ العـقـيدـ بـرـأسـهـ وـهـوـ يـجـبـيـهـ قـائـلاـ :

- صـلـنـىـ باـحـدـ الـمـسـؤـلـينـ فـيـ هـيـنـةـ الـآـثارـ وـاـحـضـرـ مـنـدـوبـهـمـ الـخـاصـ فـيـ الـحـالـ .

وـالتـقـطـ الـاـورـاقـ مـنـ اـمـامـهـ وـهـوـ يـفـحـصـهـ بـدـقـةـ

فسألتها هند في صوت خافت :

- هل في مقدوركم ان تقبضوا عليه

نظر الضابط اليها وهو يجيب في حزم

- إننا لن نترك قطعة من تراب مصر تغادر بلادنا ... أبدا

وكان يعني ما يقول .

\*\*\*\*\*

تدلى فك مدحت السفلى كالأبله وهو يحدق في وجه زوجته وهو يكرر :

- اخوك ، ولكن ، ولكن كيف ؟

اجابه حسن في شماته :

- انها اختي من والدى فقط ايهما الأحمق ، لم اكون اتصور انك بهذا الغباء الذى صور لك  
اننى اخونك مع اختى

هز مدحت رأسه في قوة وكأنه ينفض الفكرة من رأسه وهو يصرخ :

- ولكنها لم تخبرني يوما بهذا

اجابته مذال في كراهية :

- هذا لأن والدك لم ير غب يوما في معرفة هذا ، كما انه كان ير غب في حماينك من أخي

القى مدحت بجسده على المقعد وهو يكرر :

- اننى لم اعد افهم شيئا

ابتسم حسن وهو يأخذ نفسها عميقا في استمتاع وهو يقول :

- سأشرح لك يا صديقي ، ان مذال اختى من والدى المصرية ولقد توفت والدى منذ زمن بعيد كما تعرف ، وكان والدى يتاجر في الآثار ، وكان هذا سبب ثرائه الفاحش والمباغت ، وعندما غادرت البلاد ، كانت هي من تتصل بي على فترات طويلة وقد علمت بأمر زواجه من اختى وكان تحت علمى وموافقتى منذ البداية ، ونظرا للظروف الاقتصادية العسيرة التى مررت بها في الخارج ، فقد كنت احتاج لتلك القطعة التى وضع والدك بهذه

عليها منذ البداية ليضمن بها حياته وحياتك بعد زواجك بأختى ولكنه توفي بعد زواجه  
بعام واحد

ثم التقط نفسا عميقا وهو يتأمل ملامح مدحت في شماته :

- وكنت أنا في حاجة إلى ذلك الخاتم لأقوم ببيعه واغطى تلك الديون التي ادين بها لبنوك  
بروكسل وكانت العقبة الوحيدة هو كيف الوصول إليه ... وكان هذا هو دورها

أتبع حديثه بالاشارة إلى اسراء

هتف مدحت في خفوت :

- ولكنها لم تكن تعلم بأمر الخاتم الأثري

ابتسمت منال وهي تقول :

- لقد أخبرتها بكل شيء أياها الخائن ، وكان هذا دليلاً على خيانتك لي ولعائلتك

ثم رفعت يدها لتخلع الخاتم الذي يزين أصبعها وتلقّيه في وجه مدحت :

- أما خاتمك أنت وعشقيتك لم يكن ذا معنى سوى لإثبات خيانتك

نظر مدحت إلى اسراء وهو يرى دمعتها الصامتة على جبينها فسألها في لهجة تحمل كل الرجاء

- هل هذا صحيح يا اسراء ؟

اومنت اسراء برأسها في انكسار ، فدفن مدحت رأسه بين يديه في صمت ، فتابعت اسراء :

- لقد حكم حسن الصواف حصاره على ، وقام بابتزازى بعد أن دفع أحد الأشخاص إلى  
في مكان عملى ولفق الي تهمة مخلة بالشرف واستخدم نفوذه للضغط على ، وعندما  
رفضت هددنى بأنها سبقت بخطف أخي وأخذ ابنتى مني وادخالى السجن

وصمت قليلاً ، ثم أكملت في صوت متهدج :

- وكنت واثقة أنه لن يتورع عن فعل أي شيء للوصول إلى هدفه

قاطعها حسن في شماته :

- ولكنك كنت تخفي الخاتم بمهارة تحسد عليها وأنت تعتبره كنزك الثمين ، وكان لا بد من  
ادخال اسراء إلى حياتك حتى تكشف لنا عن مكانه

رفع مدحت رأسه الى زوجته منال وهو يسألها :

- ولماذا لم تخبريني

ضحكـت منـال في سخـرية مـريرة وـهي تـجيب :

- أـخـبرـكـ بـأـمـرـ أـخـيـ الـذـىـ فـرـ هـارـبـاـ مـنـ بـرـوـكـسـلـ ،ـ اـمـ أـخـبرـكـ بـأـمـرـ خـيـانـتـكـ لـيـ

وسـادـ الصـمـتـ عـلـىـ المـكـانـ مـعـلـنـاـ نـهـاـيـةـ الـجـوـلـةـ الـاـخـيـرـةـ

\*\*\*\*\*

ارتـقـعـ رـنـينـ الـهـاـفـ فيـ غـرـفـةـ الضـابـطـ وـالتـقـطـ سـمـاعـةـ الـهـاـفـ فيـ سـرـعـةـ وـاسـتـمعـ فيـ تـركـيزـ وـاـهـتمـامـ شـدـيدـ ثـمـ اـغـلـقـ السـمـاعـةـ وـهـوـ يـتـلـفـتـ الىـ هـنـدـ قـاتـلـاـ فيـ اـتـيـاحـ :

- لقد هـبـطـتـ الطـائـرـةـ فيـ مـطـارـ شـرمـ الشـيـخـ ...ـ لـحـنـ الـحـظـ انـهاـ لـمـ تـغـادـرـ الـاجـواـءـ

وـهـنـاـ فـقـطـ ،ـ قـفـزـتـ هـنـدـ مـنـ مـقـعـدـهـ ،ـ وـارـتـسـمـتـ عـلـىـ شـفـتـاـهـ اـبـتسـامـةـ اـرـتـيـاحـ كـبـيرـةـ

وـالتـقـطـتـ هـاـتـفـهاـ الـمـهـمـولـ تـكـتـبـ رسـالـةـ سـرـيعـةـ

وـتـضـغـطـ اـزـرـارـهـاـ فـيـ قـوـةـ

\*\*\*\*\*

ظلـ الصـمـتـ يـسـودـ عـلـىـ المـكـانـ حـتـىـ تـمـتـ اـسـرـاءـ فـيـ رـجـاءـ :

- اـرجـوكـ اـنـ تـسـامـحـنـىـ يـاـ مـدـحـتـ

نظرـ اليـهـاـ مـدـحـتـ طـوـبـلـاـ وـلـتـفـتـ حـسـنـ إـلـىـ اـخـتـهـ قـاتـلـاـ .

- هـيـاـ يـاـ مـنـالـ ...ـ لـقـدـ أـنـتـهـىـ كـلـ شـئـ ،ـ دـعـيـنـاـ نـغـادـرـ الـبـلـادـ ،ـ اـحـضـرـىـ اـبـنـتـكـ

ارـتـجـفـ جـسـدـ مـدـحـتـ فـجـأـةـ وـهـوـ يـلـتـفـتـ إـلـىـ حـسـنـ ،ـ فـابـتـسـمـ حـسـنـ مـجـيـباـ :

- اـعـتـقـدـ اـنـكـ لـمـ تـعـدـ تـصـبـحـ لـأـنـ تـظـلـ أـبـاـ مـفـغـلاـ لـطـفـانـتـكـ بـعـدـ الـانـ

وـتـحـرـكـ حـسـنـ بـأـتجـاهـ الـبـابـ وـلـكـنـ مـدـحـتـ اـسـتـوـقـفـهـ باـشـارـةـ مـنـ يـدـهـ وـهـوـ يـسـأـلـهـ :

- أـينـ الـخـاتـمـ يـاـ حـسـنـ

ابنسم حسن وهو سجيبيه :

- لقد غادر البلاد يامدحت

جمع مدحت كل كل غضبه ومقته في لكتة اطلقها في معدة حسن وهو يصبح في جنون :

- أيها الحقير

سقط حسن على أرضية الحجرة مطلقا صرخة الم ومنال تطلع تصريح في وجه زوجها :

- هل جنت يا مدحت

قفز مدحت باتجاه حسن الملقي على الأرض وهو يصبح :

- سأقتلك يا حسن ... سأقتلك

وبحركة مباغته انفتح الحجرة بقوة ، ودخل الحجرة ستة اشخاص يرتدون بذات سوداء وأحدهم يشهر مسدسا باتجاه مدحت وحسن وهو يصبح

- توقفوا فورا .... مباحث الاثار

\*\*\*\*\*

تجاهل مدحت نداء الضابط وانهال بالكلمات على وجه حسن حتى انتسله اثنان من الضباط بالقوة من عليه

ونهضت اسراء وتلقطت هاتفيها المحمول لنقرأ رسالة اختها مرددة في فرحة :

- مباحث الاثار

اجابها الضابط باليمنة من رأسه :

- اطمئنى ، اختك قامت بدورها على اكمel وجه ياسينى

ثم اشار الي احد الرجال فاصطبخها الى الخارج ، وثارت منال وهي تصريح في هستيريا :

- ايها الوغد ... ايتها الخائنة ... ايها الكلاب

فأشار الرائد الى رجاله ، فتوجه رجالن اليها ليحملانها خارجا وقد ساد الهرج والمرج القاعة وانطلقت الطفلة تركض خلف امها باكية

فلسرت مدحت يأخذ ابنته بين احضانه ، والتفت الرائد الى مدحت قائلا :

- لقد هبطت الطائرة منذ خمس دقائق في مطار شرم الشيخ والقينا القبض على المهرب يا سيد مدحت ، لكن الامر لن يغريك تماما من المسائلة القانونية لأخفاء ذلك الخاتم الذي يعود الى الدولة الفاطمية

رفع مدحت عينيه الدامعتين وهو يومئ برأسه في مرارة ...

- انه ملكية خاصة لا جدadi يا حضرة الضابط ، ولا يمكنكم مسائلتى عن ميراثى

هز سامر رأسه متفهمها وبإشارة اخيرة من الرائد ارغم الرجال المتبقيان حسن الصواف على النهوض وهم يقودانه الى باب الحجرة وقد تراص الضيوف يراقبون المشهد في خوف وترقب .

وفجأة ، انسل حسن من بين الرجلين واستل مسدسه في سرعة ومهارة .

وانطلقت الرصاصـة تشق المكان

\*\*\*\*\*

ارتفعت الصرخـات في القاعة بعد صوت الرصاصـة وساد الهرج والمرج المكان والكل يتدافع باتجاه الباب .

وفي الخارج شهقت اسراء وهي تصرخ باسم مدحت قبل فقدوعي ، وصاحت منال كالمجنونة باسم أخيها وهي تحاول ان تخلص من معصم الرجلين ولكن دون جدو حتى انهارت وهي تبكي في انهيار

وماهي الا لحظات وظهر حسن الصواف وهو يغادر بصحبة الرجلين والدماء تغرق يديه اليمنى ليلقونه في سيارتهم وتنطلق سيارتهم بسرعة

ليخرج بعدها الرائد وهو يسير بجوار مدحت وهو معافي فنهضـت منال تصيح في جنون مطبق :

- انت الخائن ، اقبضوا على هذا الخائن ، انه السبب في كل هذا

توقف الرائد وهو يرمـقها بنظرة صارمة وتقدم باتجاهها مباشرة :

- انت متهمـة بتـهـريب قطـعة أثـرـية نـادـرة خـارـج الـبلـاد ، وعـقوـبـتها الـاعدـام ، اعتـقـدـ انه يـجبـ ان تـشـغـلـي تـفـكـيرـكـ بهذا اـنتـ وأـخـيكـ .

تجمدـت منـالـ لـلـحـظـاتـ وـارـجـفتـ شـفـتيـهاـ ، لـتـهـالـ الدـمـوعـ منـ عـيـنـيـهاـ قـبـلـ انـ تـسـأـلـ الضـابـطـ :

- أـبـنـتـىـ ، أـرـيدـ انـ أـرـىـ أـبـنـتـىـ

تأملها سامر قليلا ثم اشار بيده الى رجاله فانطلقت السيارة .

معنـة نـهاـة الـصـراـع ... وـاـغـلـاقـ المـلـفـ القـضـيـةـ

إـلـىـ الـاـبـدـ

\*\*\*\*\*

مضـيـ شـهـرـ كـامـلـ

وـفـيـ اـحـدـىـ تـالـكـ الـمـنـاطـقـ مـنـ عـلـىـ كـوـرـنـيشـ النـيلـ ،ـ وـقـفـ مـدـحـتـ يـرـاقـبـ النـيلـ فـيـ هـنـوـءـ وـشـرـودـ

دـونـ انـ يـشـعـرـ بـوـقـعـ الـاـقـادـمـ الـاـنـثـوـيـةـ الـتـىـ تـتـصـاعـدـ مـنـ خـلـفـ

حـتـىـ سـمـعـ صـوتـ اـسـرـاءـ وـهـيـ تـهـمـسـ فـيـ اـذـنـهـ :

- اـمـازـلتـ تـأـتـىـ إـلـىـ هـذـاـ المـكـانـ

الـتـفـتـ مـدـحـتـ إـلـيـهـ فـيـ نـظـرـةـ مـاـ زـالـتـ تـحـمـلـ بـعـضـ الشـرـودـ ثـمـ عـادـ يـنـظـرـ إـلـىـ النـيلـ مـرـةـ أـخـرىـ  
فـوـقـتـ اـسـرـاءـ بـجـانـبـهـ قـلـيـلاـ ثـمـ قـالـتـ :

- لـقـدـ تـخـرـجـتـ اـخـتـىـ وـسـنـغـادـرـ اـنـاـ وـهـيـ الـبـلـادـ الـاـسـبـوـعـ الـقـادـمـ

اجـابـهـاـ الصـمـتـ مـرـةـ أـخـرىـ حـتـىـ التـفـتـ إـلـيـهـ مـدـحـتـ وـهـيـ يـقـولـ فـيـ نـبـرـةـ حـزـينـةـ :

- هلـ هـذـاـ رـفـضـ لـطـلـبـ الزـواـجـ

تـأـمـلـتـ اـسـرـاءـ وـجـهـ مـدـحـتـ فـيـ حـنـانـ وـهـيـ تـجـيـبـهـ :

- لمـ يـعـدـ هـنـاكـ فـانـدـةـ يـاـ مـدـحـتـ ،ـ لـنـ تـسـتـطـعـ نـسـيـانـ مـاـ جـرـىـ مـطـلـقاـ .ـ

تـنـهـدـ مـدـحـتـ مـرـةـ أـخـرىـ وـتـعـلـقـ بـصـرـهـ بـذـلـكـ الـمـرـكـبـ الـذـىـ اـنـسـابـ فـيـ نـعـومـةـ عـلـىـ صـفـحةـ النـيلـ ثـمـ  
سـأـلـهـاـ فـجـأـةـ :

- كـيـفـ حـالـ طـفـانـىـ

ضـحـكـ اـسـرـاءـ ضـحـكـةـ قـصـيرـةـ ثـمـ اـجـابـتـ :

- اـنـهـاـ اـصـبـحـتـ صـدـيقـةـ لـشـرـوقـ اـبـنـىـ ،ـ وـلـاـ اـدـرـيـ كـيـفـ سـأـخـبـرـهـاـ بـمـغـادـرـتـنـاـ الـاـسـبـوـعـ الـقـادـرـ

نـظـرـ إـلـيـهـ مـدـحـتـ فـيـ اـمـتـنـانـ وـهـيـ يـهـنـفـ :

- لقد أمضت الشهر الكامل برفقكم دون ملل

او مات برأسها موافقة وعاد الصمت يلفهما حتى اعتدلت مدحت وهو ينظر اليها قائلا :

- هيا بنا ... سأوصلك الى المنزل لأصطحب أبنتى

نظرت اليه اسراء في حزن فاستطر قائلة :

- هذا ان ظللت مصرة على قرارك

اجابت في خفوت :

- صدقني يا مدحت ، أنه القرار السليم

اما برأسه وهو يلقى على النيل نظرةأخيرة ونهض ليصطحب اسراء الى سيارته دون ان يتبدل معها الحديث حتى وصل المنزل واصطحب ابنته وغادر المنزل ووقفت اسراء في شرفتها ترافقه وهو يستقل السيارة هو وابنته

دون ان تشعر بأختها وهي تقف بجوارها

- هل تحبيه بكل هذا القدر

او مات اسراء برأسها دون ان تلتفت اليها ودموعها تناسب في صمت حتى نطق :

- ليس لديك أدنى فكرة يا هند ... ليس لديك فكرة

اما مدحت فقد كان يقود سيارته في طريقه الى المنزل حتى التفتت ابنته اليه قائلة :

- ألم استطع رؤية امي مجددا يا أبي

هز مدحت رأسه نافيا وهو يجيب :

- كلا يا عزيزتي

صمتت الصغيرة في حزن وهي تداعب دميتها في صمت ثم قالت في صوت عالي :

- ولكن عمتي اسراء اخبرتني انها ستأتي لزيارة كل فترة

ابتسם مدحت وهو يتلقط الخاتم من جيبيه حتى وصل الى نفس البقعة بسيارته ... على كورنيش النيل وقدف به بكل قوته ليغطس في المياه

والنفت الى ابنته قائلة في مرح :

- الا نرغبين في عشاء مميز

صفقت الطفلة بيديها في جذل ، وانطلق مدحت بيسارته داخل المدينة

طاويا كل الصفحات في حياته ، ليتركها تغرق مع ذلك الخاتم

لتنتهي تلك الحقبة من حياته الى الابد

### حقبة اهداه الخيانة

\*\*\*\*\*

تمت بحمد الله

٢٠٠٧ - ٧ - ٣٠

